البحث الثانى عشر :

الفارابي فيلسوف السعادة

إعداد :

د. عبد العزيز سيد هاشم

دكتوراه في الفلسفة الإسلامية

كلية دار العلوم جامعة القاهرة

الفارابي فيلسوف السعادة

د. عبد العزيز سيد هاشم
دكتوراه في الفلسفة الإسلامية
كلية دار العلوم جامعة القاهرة

• **المستخلص**:

الحديث عن السعادة حديث مشوق؛ لأنها مطلب كل إنسان، وبغية كل كائن، والناس بمختلف فئاتهم يبحثون عن السعادة؛ من المثقف المتعلم في قمة تفكيره وتجريده، إلى العامي في قاع سذاجته وبساطته، ومن السلطان في قصره المشيد، إلى الصعلوك في كوخه الصغير. ونظرًا لأهمية الموضوع وتعلقه بكل إنسان على وجه الأرض فقد كتب عنه الحكماء منذ مئات السنين ، والفارابي في مقدمة هؤلاء الفلاسفة الذين اهتموا بموضوع السعادة. وحول نظرية السعادة عند الفارابي كان هذا البحث، وقد آثرت أن أسَمِّيَه بالفارابي فيلسوف السعادة، وذلك لما نرى من اهتمام ملحوظ للفارابي بموضوع السعادة، مما جعلها تتكرر في عناوين بعض كتبه، كتحصيل السعادة، والتنبيه على سبيل السعادة، بالإضافة إلى اهتمامه بها في ثنايا كثير من كتبه، كآراء أهل المدينة الفاضلة والسياسة المدنية وفصول منتزعة، وغيرها. وقد حاولتُ مراعاة أصول البحث العلمي - قدْر الإمكان – مستخدمًا أساليب النقد والتحليل والاستدلال والاستقراء، ثم الاستنباط والمقارنة للوصول إلى النتائج، مستعينًا بالمنهج العلمي التاريخي والوصفي والمقارن. وقد تناولتُ الموضوع محاولا توضيح مفهوم السعادة الحقيقة، من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي للسعادة، وعرض مفهوم السعادة لدى الفلاسفة والمفكرين المسلمين، والحديث عن آراء الفارابي ونظريته في السعادة. ومن ثَمَّ اشتمل هذا البحث على ثلاثة مباحث كما يلي: المبحث الأول: ترجمة الفارابي، ، المبحث الثاني: مفهوم السعادة، المبحث الثالث: نظرية السعادة عند الفارابي. وأرجو أن يحظى هذا البحث بالرضا والتوفيق، وأن يكون لبنة في صرح الدراسات الأخلاقية.

الكلمات المفتاحية : الفارابي – الفلسفة - الأخلاق – الغاية العليا للأخلاق – اللذة - السعادة – تحصيل السعادة - الفضائل – قوى النفس –- فلاسفة اليونان – الفلاسفة المسلمون - سقراط – أرسطو – أفلاطون –- ابن رشد – ابن سينا – مسكويه – الغزالي – الأصفهاني – ابن القيم

Al-Farabi is the philosopher of happiness

Dr. Abdul Aziz Sayed Hashem

Abstract :

Talking about happiness is an interesting talk, because it is the demand of every human being, and for the sake of every being, and people of all categories are looking for happiness, from the educated intellectual at the top of his thinking and abstraction, to the commoner at the bottom of his naivety and simplicity, and from the Sultan in his built palace, to the Tramp in his small hut.Due to the importance of the subject and its attachment to every human being on earth, the wise men wrote about it hundreds of years ago, and Al-Farabi is at the forefront of these philosophers who were interested in the subject of happiness.And about the theory of happiness when Al-Farabi was this research, and I chose to call Balfarabi philosopher of happiness, because we see the remarkable interest of Al-Farabi on the subject of happiness, which made it repeated in the titles of some of his books, such as the collection of happiness, and alert as happiness, in addition to his interest in it in the folds

of many of his books, such as the views of the people of the utopia, civil policy and chapters extracted, and others.It has tried to take into account the principles of scientific research - as much as possible - using the methods of criticism, analysis, reasoning and induction, then deduction and comparison to reach the results, using the historical, descriptive and comparative scientific method.She dealt with the topic in an attempt to clarify the concept of true happiness, through the linguistic and terminological definition of happiness, and presented the concept of happiness among Muslim philosophers and thinkers, and talk about the views of Al-Farabi and his theory of happiness. Hence, this research included three topics as follows:The first topic: the translation of Al-Farabi.The second topic: the concept of happiness.The third topic: the theory of happiness according to Al-FarabiI hope that this research will be satisfactory and successful, and that it will be a building block in the edifice of ethical studies.

Key words Al-Farabi - Philosophy - Ethics - The Supreme End of Ethics - Pleasure - Happiness - Obtaining Happiness - Virtues - Powers of the Soul - - Greek Philosophers - Muslim Philosophers - Socrates - Aristotle - Plato - - Ibn Rushd - Ibn Sina - Miskawayh - Al-Ghazali - Al-Isfahani - Ibn Al-Qayyim

- **مقدمة**:

الحديث عن السعادة حديث مشوق؛ لأنها مطلب كل إنسان، وبغية كل كائن، والناس بمختلف فئاتهم يبحثون عن السعادة؛ من المثقف المتعلم في قمة تفكيره وتجريده، إلى العامي في قاع سذاجته وبساطته، ومن السلطان في قصره المشيد، إلى الصعلوك في كوخه الصغير.

ونظرًا لأهمية الموضوع وتعلقه بكل إنسان على وجه الأرض فقد كتب عنه الحكماء منذ مئات السنين، كتبوا ضمن علم النفس، والأخلاق، والفلسفة، والأدب، والتفسير، وغيرها من العلوم.

وكانت السعادة فكرة بارزة لدى فلاسفة اليونان ولدى الفلاسفة المسلمين. والفارابي في مقدمة هؤلاء الفلاسفة الذين طالعوا كتب أفلاطون وأرسطو، ووقفوا على أغراضِهما، وأحسنوا فهمها. ولِكثرة شرحه لأراء الفلاسفة اعتُرف له بالرياسة فيها، ولقبَ بالمعلم الثاني كما لقبَ أرسطو بالمعلم الأول.

وإذا أمكن تلخيص المذهب الفلسفي حول آراء الفارابي في ثلاثة أمور، هي: المنطق، وتسلسل الوجود بالفيض، ونظرية الاتصال(١) فإنه يمكن أن نضيف أمرًا رابعًا لا يقل أهمية عنها إن لم يكن أهمها، وهو نظريته في السعادة وفلسفته في الأخلاق. وحول نظرية السعادة عند الفارابي كان هذا البحث، وقد آثرت أن أُسَمِّيَه بالفارابي فيلسوف السعادة، وذلك لما نرى من اهتمام ملحوظ للفارابي

(١) د. أحمد فؤاد الأهواني: المدارس الفلسفية، مكتبة مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة- القاهرة، ١٩٦٥م، ص: ١٣٨.

بموضوع السعادة، مما جعلها تتكرر في عناوين بعض كتبه، كتحصيل السعادة، والتنبيه على سبيل السعادة، بالإضافة إلى اهتمامه بها في ثنايا كثير من كتبه، كآراء أهل المدينة الفاضلة والسياسة المدنية وفصول منتزعة، وغيرها.

وقد حاولتُ مراعاة أصول البحث العلمي - قَدْر الإمكان – مستخدمًا أساليب النقد والتحليل والاستدلال والاستقراء، ثم الاستنباط والمقارنة للوصول إلى النتائج، مستعينًا بالمنهج العلمي التاريخي والوصفي والمقارن.

وقد تناولتُ الموضوع محاولا توضيح مفهوم السعادة الحقيقة، من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي للسعادة، وعرض مفهوم السعادة لدى الفلاسفة والمفكرين المسلمين، والحديث عن آراء الفارابي ونظريته في السعادة. ومن ثَمَّ اشتمل هذا البحث على ثلاثة مباحث كما يلي:

- المبحث الأول: ترجمة الفارابي
- المبحث الثاني: مفهوم السعادة
- المبحث الثالث: نظرية السعادة عند الفارابي

وأرجو أن يحظى هذا البحث بالرضا والتوفيق، وأن يكون لبنة في صرح الدراسات الأخلاقية.

• المبحث الأول: ترجمة الفارابي

• نشأة الفارابي وطلبه للعلم:

هو أبو نصر محمد بن محمد بن طَرْخَان بن أَوْزَلَغ الفارابي، تركي الأصل، وُلِدَ في فاراب إحدى مدن الترك فيما وراء النهر (نهر جيحون) سنة ٢٥٩ هـ ٨٧٤ م(٢)، وكان أبوه قائد جيش، فاهتم بتربيته وتحصيله للعلوم، فنشأ الفارابي على ثقافة لغوية دينية؛ وأقبل على العلوم الإسلامية من فقه وحديث وتفسير(٣)، وكان يعرف اللسان التركي وعدة لغات أخرى بالإضافة إلى العربية التي تعلمها وأتقنها غاية الإتقان، ونال قسطا من الدراسات العقلية المحيطة به من رياضة وفلسفة، ثم اشتغل بعلوم الحكمة. وكان دخول الفارابي مدينة بغداد حوالي سنة ٣١٠هـ، وعمره حينئذ يناهز الخمسين، وبهذا تبدأ المرحلة الثانية من حياته، مرحلة النضج الكامل والتأثير فيمن يتصل به. فالتقى في بغداد بالمناطقة واللغويين، ودرس المنطق على أبي بشر متى بن منصور الحكيم المشهور، وأخذ منه طريق تفهيم المعاني الجزلة بالألفاظ السهلة، وكان يحضر حلقته في غمار تلامذته، وما لبث أن تفوق عليه.

---

(٢) يقول سعيد زايد في بحثه عن الفارابي: "ذكر ابن خلكان أن الفارابي توفي سنة ٣٣٩هـ عن ثمانين سنة، وبذا يمكننا أن نستنتج تاريخ مولده بأنه كان حوالي عام ٢٥٩هـ. وهذا الاستنتاج ضروري في هذا المجال إذ المعلم الثاني لم يترجم لنفسه كما صنع بعض مفكري الإسلام، وكذا لم يفعل ذلك أحد من تلاميذه"، انظر: الفارابي، دار المعارف- القاهرة، ط٤، ١٩٨٨م، ص: ١٥.

(٣) سعيد زايد: الفارابي، مرجع سابق، ص: ١٥.

ثم توجَّه إلى حران، فأخذ المنطق أيضًا عن يوحنا بن حيلان الحكيم النصراني، وسُمِّيَ بالمعلم الثاني لما انتهى إليه من منزلة ممتازة، حتى تتلمذ عليه الكثير، منهم يحيى بن عدي المنطقي المشهور.

ثم رجع الفارابي مرة أخرى إلى بغداد، فقرأ بها علوم الفلسفة، وأقبل على كتب أرسطو مستخرجًا معانيها بعد أن قرأها عدة مرات، ((ويقال إنه وُجِدَ كتاب النفس لأرسطاطاليس وعليه مكتوب بخط أبي نصر الفارابي: إني قرأت هذا الكتاب مائتي مرة. ونقل عنه أنه كان يقول: قرأت السماع الطبيعي لأرسطاطاليس الحكيم أربعين مرة، وأرى أني محتاج إلى معاودة قراءته. ويروى عنه أنه سُئِلَ: مَنْ أعلم الناس بهذا الشأن أنت أم أرسطاطاليس؟ فقال: لو أدركتُه لكنتُ أكبر تلامذته))(٤).

ولم يزل أبو نصر ببغداد مُكِبًّا على الاشتغال بالعلم والتحصيل إلى أن برز فيه، وفاق أهل زمانه، وألف بها معظم كتبه، ثم سافر منها إلى دمشق، ولم يقم بها، ثم توجَّه إلى مصر، وقد ذكر كتاب السياسة المدنية أنه ابتدأ بتأليفه في بغداد وأكمله بمصر، ثم عاد إلى دمشق، وأقام بها(٥).

- **الفارابي وسيف الدولة**:

عاد الفارابي إلى دمشق، وأقام بها، وسلطانها يومئذ سيف الدولة الحمداني، فاتصل به الفارابي، وعاش معه مدة في كنفه، مع أنه لم يكن من عادته الاتصال بالحكام والساسة، لكن اتصاله به وبغيره لم يخرج عن دائرة العلم. والتقى في بلاطه بعلماء الإسلام من كل جنس وثقافة لغويين وأدباء وفلاسفة. يقول القفطي: ((قدم أبو نصر الفارابي عَلَى سيف الدولة أبي الحسن علي بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان إلى حلب، وأقام فِي كنفه مدة بزي أهل التصوف، وقدَّمه سيف الدولة، وأكرمه، وعرف موضعه من العلم ومنزلته من الفهم))(٦).

ويحكي ابن خلكان حكاية الفارابي التي جرت له مع سيف الدولة بن حمدان، فيقول: ((رأيت في بعض المجاميع أن أبا نصر لما ورد على سيف الدولة، وكان مجلسه مجمع الفضلاء في جميع المعارف، فأُدْخِلَ عليه وهو بِزيِّ الأتراك، وكان ذلك زيه دائمًا، فوقف، فقال له سيف الدولة: اقعُد. فقال: حيثُ أنا أم حيث أنتَ؟ فقال: حيث أنتَ.

فتخطى رقاب الناس، حتى انتهى إلى مسند سيف الدولة، وزاحمه فيه، حتى أخرجه عنه، وكان على رأس سيف الدولة مماليك، وله معهم لسان خاص

(٤) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط ١٩٩٤م، ، جـ٥ ص: ١٥٣، ١٥٤.
(٥) المرجع السابق، جـ٥ ص: ١٥٥.
(٦) جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي: أخبار العلماء بأخيار الحكماء، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، ص: ٢١٠.

يسارهم به قَلَّ أن يعرفه أحد، فقال لهم بذلك اللسان: إن هذا الشيخ قد أساء الأدب، وإني مسائله عن أشياء إن لم يوفِ بها، فاخرقوا به.

فقال له أبو نصر بذلك اللسان: أيها الأمير، اصبر، فإن الأمور بعواقبها، فعجب سيف الدولة منه، وقال له: أتحسن هذا اللسان؟ فقال: نعم أحْسِن أكثر من سبعين لسانا!(٧)، فعَظُمَ عنده.

ثم أخذ يتكلم مع العلماء الحاضرين في المجلس في كل فن، فلم يزل كلامه يعلو، وكلامهم يسفل، حتى صمت الكل، وبقي يتكلم وحده، ثم أخذوا يكتبون ما يقوله، فصرفهم سيف الدولة وخلا به، فقال له: هل لك في أن تأكل؟ فقال: لا. فقال: فهل تشرب؟ فقال: لا. فقال: فهل تسمع؟ فقال: نعم. فأمر سيف الدولة بإحضار القيان، فحضر كل ماهر في هذه الصناعة بأنواع الملاهي، فلم يحرك أحد منهم آلته إلا وعابه أبو نصر، وقال له: أخطأت.

فقال له سيف الدولة: وهل تحسن في هذه الصناعة شيئًا؟ فقال: نعم. ثم أخرج من سوطه خريطة، ففتحها، وأخرج منها عيدانًا، وركَّبها، ثم لعب بها، فضحك منها كل من كان في المجلس. ثم فكها، وركَّبها تركيبًا آخر، وضرب بها، فبكي كل من في المجلس. ثم فكها، وغيَّر تركيبها، وحرَّكها، فنام كل من في المجلس حتى البواب، فتركهم نيامًا، وخرج))(٨).

وأجرى عليه سيف الدولة في كل يوم أربعة دراهم، ثم توجَّه الفارابي من دمشق إلى مصر، ثم عاد إليها(٩)، فأكرمه سيف الدولة، وأحسن إليه.

- **الفارابي وابن سينا**:

تخرج ابن سينا على كتب الفارابي، وانتفع بها، يقول ابن خلكان عن الفارابي: ((والرئيس أبو علي بن سينا - المقدم ذكره - بكتبه تخرج، وبكلامه انتفع في تصانيفه))(١٠). وقال ابن سيناء: ((سافرت في طلب الشيخ أبي نصر، وما وجدتُه، وليتني وجدته، فكانت حصلت إفادة. وقال: قرأت كتاب ما بعد الطبيعة، فما كنت أفهم ما فيه، والتبس عليَّ غرض واقعه، حتى قرأته أربعين مرة، وصار محفوظا، وأيست من فهمه، وقلت: لا سبيل إلى فهمه، فبينا أنا يومًا بعد صلاة العصر في الوراقين، وإذا بدلال ينادي على مجلد، فعرضه عليَّ، فرددته رد متبرم به، معتقد أن هذا العلم لا فائدة فيه. فقال: اشتره، فإني أبيعك أياه بثلاثة دراهم، فاشتريته، فإذا هو من تصانيف أبي نصر في أغراض ذلك الكتاب، فرجعت إلى

(٧) تعلم الفارابي اللغة العربية والتركية والفارسية، ويبعد عن الظن أنه عرف لغة أخرى غير تلك اللغات. انظر: سعيد زايد: الفارابي، مرجع سابق، ص: ١٥.

(٨) ابن خلكان: وفيات الأعيان مرجع سابق، جـ٥ ص: ١٥٥، ١٥٦.

(٩) صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م ، جـ١ ص: ١٠٢، ١٠٣.

(١٠) ابن خلكان: وفيات الأعيان مرجع سابق، جـ٥ ص: ١٥٣.

بيتي، وأسرعت قراءته، فانفتح عليَّ في الوقت أغراض ذلك الكتاب، وفهمتُه وفرحتُ فرحًا شديدًا، وتصدقت ثاني يوم على الفقراء بشيء كثير))(١١).

• **من دعائه وشعره**:

للفارابي نصر نظم جيد، وأدعية مليحة، ذكرها ابن أبي أصيبعة في تاريخ الأطباء، ومن دعائه: ((اللهم إني أسألك يا واجب الوجود ويا علة العلل يا قديمًا لم يزل - أن تعصمني من الزلل، وأن تجعل لي من الأمل ما ترضاه لي من عمل، اللهم امنحني ما اجتمع من المناقب، وارزقني في أموري حسن العواقب، نَجِّحْ مقاصدي والمطالب، يا آله المشارق والمغارب.

رب الجواري الكنس السبع التي انبجست عن الكون انبجاس الأنهر

هن الفواعل عن مشيئته التي عمت فضائلها جميع الجوهر

أصبحت أرجو الخير منك وامتري زحلاً ونفس عطارد والمشتري

اللهم ألبسني حلل البهاء، وكرامات الأنبياء، وسعادة الأغنياء، وعلوم الحكماء، وخشوع الأتقياء، اللهم أنقذني من أعلام الشقاء والفناء، واجعلني من إخوان الصفاء، وأصحاب الوفاء، وسكان السماء، مع الصديقين والشهداء))(١٢).

• **مصنفات الفارابي**:

كان أبو نصر يحب الوحدة والانفراد، ولا يأنس إلا في الأماكن الطبيعية حيث الأشجار والمياه والرياض، وهنالك يؤلف كتبه، ويعكف على تأملاته؛ فترك ما يقارب المائة كتاب، ولُقبَ بالمعلم الثاني لشرحه مؤلفات أرسطو الملقب بالمعلم الأول، يقول ابن خلكان: ((وكان منفردًا بنفسه، لا يجالس الناس، وكان مدة مقامه بدمشق لا يكون غالبًا إلا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض، ويؤلف هناك كتبه، وينتابه المشتغلون عليه))(١٣).

وكانت معظم مؤلفاته ببغداد، وأكثرها تعليقات على أرسطو، يقول الصفدي: ((يقال إن نسخة وُجِدَتْ لكتاب النفس لأرسطو، وعليها بخط أبي نصر الفارابي: قرأت هذا الكتاب مائتي مرة، وكان يقول: قرأت السماع الطبيعي لأرسطو أربعين مرة، وأنا محتاج إلى معاودته))(١٤).

وفي وسعنا أن نقسم كتب المعلم الثاني إلى قسمين متساويين على وجه التقريب: قسم المنطق وتدور بحوثه حول أجزاء كتاب الأرجانون بالتعليق تارة وبالتلخيص أخرى، ولا يزال أغلب أجزاء هذا القسم مخطوطا، وقسم الفلسفة

(١١) الصفدي: الوافي بالوفيات، مرجع سابق، جـ١ ص: ١٠٣.
(١٢) أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت، ص: ٦٠٦.
(١٣) وفيات الأعيان، مرجع سابق، جـ٥ ص: ١٥٦.
(١٤) الوافي بالوفيات، مرجع سابق، جـ١ ص: ١٠٣.

ويتناول جميع أجزائها من طبيعة ورياضة وميتافيزيقا وأخلاق وسياسة، ومن هذا القسم نستطيع أن نأخذ فكرة واضحة عن الفلسفة الفارابية في مختلف نواحيها، خاصة أنه قد وصل إلينا منه قدر كبير(١٥).

يقول ابن صاعد الأندلسي: ((الفارابي فيلسوف المسلمين بالحقيقة، أخذ صناعة المنطق عن يوحنا بن حيلان المتوفى بمدينة السلام في أيام المقتدر، فبَذَّ جميع أهل الإسلام، وأربى عليهم في التحقيق لها، وشرح غامضها وكشف سرها، وقرَّب تناولها وجميع ما يحتاج إليه منها في كتب صحيحة العبارة لطيفة الإشارة، مُنَبِّهًا على ما أعيا الكندي وغيره من صناعة التحليل وأنحاء التعاليم، وأوضح القول فيها عن مواد المنطق الخمسة، وأفاد وجوه الانتفاع بها، وعرف طرق استعمالها، وكيف تصرف صورة القياس في كل مادة منها، فجاءت كتبه في ذلك الغاية الكافية والنهاية الفاضلة))(١٦).

وعن جهد الفارابي في التأليف يقول القفطي: ((لَهُ بعد هَذَا كتاب شريف فِي إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها لَمْ يُسْبَق إِلَيْهِ، ولا ذهب أحد مذهبه فِيهِ، ولا يستغني طلاب العلوم كلها عن الاهتداء بِهِ وَتقديم النظر فِيهِ، وَلَهُ كتاب فِي أغراض أفلاطون وأرسطوطاليس يشهد لَهُ بالبراعة فِي صناعة الفلسفة...بعد هَذَا فِي العلم الآلهي وَفِي العلم المدني كتابان لا نظير لهما أحدهما المعروف بالسياسة المدنية والآخر المعروف بالسيرة الفاضلة))(١٧). ثم ذكر القفطي مؤلفات الفارابي.

وينبغي التنويه إلى الجهد المشكور الذي قام به الدكتور جعفر آل ياسين بنشر كثير من كتب الفارابي محقِقا لها تحقيقا علميًّا، بعنوان الفارابي الأعمال الفلسفية(١٨).

ونختم الحديث عن مؤلفات الفارابي بالإشارة إلى أهم كتب الفارابي في مجال الأخلاق، والتي اطلعنا عليها، ومنها استقينا الحديث عن السعادة لدى الفارابي، وهي:

- آراء أهل المدينة الفاضلة
- تحصيل السعادة
- الجمع بين رأيي الحكيمين
- فصول منتزعة
- كتاب التنبيه على سبيل السعادة
- كتاب السياسة المدنية

(١٥) سعيد زايد: الفارابي، مرجع سابق، ص: ٢١.
(١٦) ابن خلكان: وفيات الأعيان مرجع سابق، جـ٥ ص:١٥٤.
(١٧) القفطي: أخبار العلماء بأخيار الحكماء، مرجع سابق، ص:٢١٠.
(١٨) نشر في دار المناهل – بيروت، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

• **وفاته**:

لم يكن الفارابي بالرجل الذي تغريه مظاهر الدنيا والجاه، بل إنه قضى حياته كلها في شظف من العيش، وكان يكسب قوتَه بعمل يده، حتى إنه كان يعمل ناطوراً إبان الفترة التي ذهب فيها إلى دمشق، والشيء البارز في حياته هو انقطاعه للتعليم والتأليف وحبه للأسفار، فقد سافر غير مرة في الفترة التي قضاها في حلب إلى مصر وإلى دمشق(١٩).

وكان زاهداً في الدنيا لا يحتفل بأمر مكسب ولا مسكن، يكتفي بالدراهم الأربعة التي أجراها عليه سيف الدولة كل يوم من بيت المال، وهو الذي اقتصر عليها لقناعته، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي بدمشق في رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ٣٣٩هـ ٩٥٠م، وقد ناهز ثمانين سنة، وصلى عليه سيف الدولة، ودفن بظاهر دمشق خارج باب الصغير(٢٠).

• **المبحث الثاني: مفهوم السعادة**

في هذا المبحث نتناول مفهوم السعادة من خلال توضيح المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذه الكلمة، ثم نتوقف عند مفهوم الفلاسفة والمفكرين لهذا الاصطلاح من خلال عرض الاتجاهات المختلفة الروحية والمادية والعقلية والاتجاه الاسلامي في فهم السعادة.

• **السعادة لغة**:

كلمة السعادة مشتقة من مادة (س ع د) نقيض شَقِيَ، يقال: سعد فلانٌ يَسْعَدُ سَعْدا وسعوداً وسَعادَة، فهو سعيد، والجمع سعداء، نقيض أشقياء، وَيُقال: سعد يَوْمك: يَمُنَ وأسْعَدَهُ الله: وَفَّقه فَهُوَ مَسْعُود. والسَّعْدُ هو اليُمن، وهو نقيض النَّحْس(٢١).

وسعِد الشَّخصُ: أحسّ بالرِّضا والفرح والارتياح، عكس شقي، ويُمْن، نقيض نَحس(٢٢).

• **السعادة اصطلاحاً**:

ورد في معجم اللغة العربية المعاصرة تعريف السعادة بأنها حال تنشأ عن إشباع الرغبات الإنسانيّة كمًّا وكيفاً(٢٣).

---

(١٩) سعيد زايد: الفارابي، مرجع سابق، ص: ١٦، ١٧.

(٢٠) انظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، جـ١٥ ص:٤١٨. والقفطي: أخبار العلماء بأخيار الحكماء، مرجع سابق، ص: ٢١٠. وابن خلكان: وفيات الأعيان، مرجع سابق، جـ٥ ص: ١٥٦.

(٢١) انظر: محمد بن منظور الإفريقي: لسان العرب، دار صادر – بيروت، جـ٣ ص: ٢١٣، و جـ١٤ ص: ٤٣٨. والخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، جـ١ ص: ٣٢١، ٣٢٢ ومجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، جـ١ ص: ٤٣٠ .

(٢٢) د أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، جـ٢ ص: ١٠٦٦.

وقد عرَّفها الأصفهاني بقوله: ((السعادة معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير، ويضادها الشقاوة))(٢٤).

وعرَّفها الدكتور مقداد يالجن بقوله: ((السعادة هي ذلك الشعور المستمر بالغبطة والطمأنينة والأريحية والبهجة، وهذا الشعور السعيد يأتي نتيجة للإحساس الدائم بخيرية الذات وخيرية الحياة وخيرية المصير))(٢٥).

فالسعادة – إذًا – حال ينشأ عنها شعور بكمال البهجة والسرور وإحساس بالأمن والراحة والطمأنينة في هذه الحياة المشاهدة، وأيضًا في المستقبل المحجوب عن الإنسان، فهي شعور داخلي بالأمن والطمأنينة والراحة والسكينة في الحياة الدنيا وما بعد الموت.

• **السعادة في مفهوم الفلاسفة والمفكرين**:

اختلف الفلاسفة والمفكرون في تحديد ماهية السعادة وعناصرها والطرق المؤدية إليها، وذهب أكثر فلاسفة الإسلام إلى القول بأن السعادة هي الغاية العليا للأخلاق، وهى أساس الخير الأسمى، مع اختلاف بينهم في التفاصيل؛ فمسكويه يذهب في تفسيرها مذهب أرسطو تقريبًا، ويرى أن الغاية النهائية للإنسان هي السعادة القصوى، والفارابي يرى السعادة أعظم الخيرات التي تُؤْثَر وتُطلب لذاتها على الدوام، بينما ينحو غيرهم – كالأصفهاني والغزالي - في تفسير السعادة منحى آخر يغلب عليه الطابع الإسلامي؛ إذ يرون أن السعادة الحقيقية هي السعادة الأخروية.

ونستعرض فيما يلي أهم الاتجاهات الرئيسية في هذا الموضوع ، والتي يمكن تلخيصها في أربعة اتجاهات مختلفة، هي: الاتجاه الروحي، والاتجاه المادي، والاتجاه العقلي، والاتجاه الاسلامي، وتفصيل ذلك فيما يلي:

• **أولا**: **الاتجاه الروحي**:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الروح حقيقة الإنسان وجوهره، وأما الجسم فما هو إلا أداة تستعملها الروح، ولهذا فحقيقة سعادة الإنسان سعادة روحية، وهي لا تتم إلا بالاهتمام بالروح وتحقيق متطلباتها وتطهيرها وتزكيتها من العلائق المادية والنوازع الشريرة، فالروح هي الحقيقة الدائمة بعد فناء الجسد، والاهتمام بها يعد اهتمامًا بالسعادة الحقيقية الدائمة. وينقسم هذا الاتجاه إلى اتجاه روحي صِرْف يتمثل في الاتجاه الصوفي الذي يرى أن السعادة هي الرضا الروحي، وتكتمل هذه السعادة بصورة مؤقتة في الدنيا عند الوصول إلى الله ومعرفته معرفة كاملة عن

---

(٢٣) المرجع السابق، جـ٢ ص: ١٠٦٦.

(٢٤) انظر: أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ١٤١٢ ه، ص: ٤١٠. وأبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، ص: ٥٠٦.

(٢٥) د. مقداد يالجن: طريق السعادة، دار الصحوة – القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م، ص: ٢٣.

طريق التزكية والتأمل في ملكوت الله، كما قال الغزالي: ((إنما الوصول إليه بالتجرد من علائق الدنيا والإكباب بجملة همته على التفكير في الأمور الإلهية حتى ينكشف له بالإلهام الإلهي جليها، وذلك عند تصفية نفسه من الكدورات، والوصول إلى ذلك هو السعادة))(٢٦).

تلك هي السعادة المؤقتة في الاتجاه الروحي، أما السعادة الأبدية فتتحقق بعد انتقال الروح من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة التي تسعد فيها الأرواح الطاهرة والبريئة.

وهناك اتجاه روحي آخر يتمثل في فلسفة البراهمة - وخاصة البوذية - وترى هذه الفلسفة بصفة عامة أن السعادة الكاملة تتم عن طريق التخلص من هذه الحياة التي هي مصدر الآلام والأحزان والشقاء والكآبة والتعاسة، والانتقال إلى عالم الإله أو إفناء الذات في الله أو الالتحاق بعالم النرفانا. والسبيل إلى ذلك محاربة الأهواء والرغبات المادية وترك اللذائذ والمتع الدنيوية وتجنب الرذائل والآثام والقبائح، ثم التحلي بالفضائل ، والانتقال عندهم من دار الشقاء إلى دار السعادة يتم عن طريق التناسخ، حيث تنتقل الروح من مرتبة إلى أخرى حتى ترجع إلى مصدرها الأول، فتكتمل سعادتها(٢٧).

يقول الغزالي: ((وتنبه لذلك طائفة، فأعرضوا عن الدنيا، فحسدهم الشيطان، ولم يتركهم، وأضلهم في الإعراض أيضًا حتى انقسموا إلى طوائف: فظنت طائفة أن الدنيا دار بلاء ومحنة، والآخرة دار سعادة لكل من وصل إليها، سواء تعبد في الدنيا أو لم يتعبد، فرأوا أن الصواب في أن يقتلوا أنفسهم للخلاص من محنة الدنيا، وإليه ذهب طوائف من العباد من أهل الهند، فهم يتهجمون على النار، ويقتلون أنفسهم بالإحراق، ويظنون أن ذلك خلاص لهم من محن الدنيا، وظنت طائفة أخرى أن القتل لا يخلص، بل لا بد أولا من إماتة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكلية، وأن السعادة في قطع الشهوة والغضب، ثم أقبلوا على المجاهدة، وشددوا على أنفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة، وبعضهم فسد عقله وجن، وبعضهم مرض وانسد عليه الطريق في العبادة...))(٢٨).

- **ثانياً: الاتجاه المادي:**

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن السعادة هي التي يشعر بها الإنسان نتيجة إشباع دوافعه الطبيعية وغرائزه الحسية.

وقد تطور هذا الاتجاه، وأخذ صورًا مختلفة على هيئة مذاهب، منها مذهب القورينائية اتباع أرستبوس تلميذ سقراط، وقد فسروا السعادة التي نشدها

(٢٦) الغزالي: ميزان العمل، مكتبة صبيح – القاهرة ١٩٦٣م، ص: ٢٣.
(٢٧) د. محمد كمال جعفر: في الدين المقارن، دار الكتب الجامعية – القاهرة، ١٩٧٠ م، ص ٢٤٨.
(٢٨) محمد بن محمد الغزالي أبو حامد: إحياء علوم الدين، دار المعرفة - بيروت، ، ج ٣ ص: ٢٢٩، ٢٣٠.

سقراط باللذة الحسية، واهتموا باللذات العاجلة، ونشدوا إشباع الدوافع في حينها، وأوصوا بعدم تأجيلها لأنه يؤدي إلى الحرمان والكآبة، وليس عندهم خجل في طلب اللذات في أية صورة كانت، وبأي طريقة تيسرت!.

ومنها مذهب الأبيقورية أتباع أبيقور، وقد توسعوا في مفهوم اللذة، فضمنوها اللذات الحسية والعقلية واللذات العاجلة والآجلة.

أما في الفلسفة الحديثة فقد تحول مذهب السعادة عند كثير من الفلاسفة إلى مذهب المنفعة، وكانت أغلب نظرتهم إلى السعادة منحصرة في السعادة المادية، باستثناء بعض الفلاسفة المثاليين ككانط وغيره، أما أغلبهم فلم يعنوا بالسعادة الأخروية ولا ما ينتج عن فعل الخير من رضا وراحة نفسية، حتى لو صاحب ذلك ألما، وهذا برتراند راسل– على سبيل المثال – ينظر إلى السعادة نظرة مادية، فيحصرها في أربعة عناصر ((أولها الصحة، وثانيها الوسائل المطلوبة كي يكون الإنسان بمأمن من الحاجة، وثالثهما العلاقات الموفقة مع الآخرين، ورابعها النجاح في العمل))(٢٩).

ومنها مذهب المنفعة التطوري الذي يمثله هربرت سبنسر، ويرى هذا المذهب أن الحياة السعيدة تكون في التوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة، وبقدر هذا التوفيق والتكيف يزيد مقدار لذة الفرد(٣٠).

- **ثالثاً: الاتجاه العقلي**:

ويرى هذا الاتجاه أن السعادة هي الشعور الغالب بالسرور الدائم في جميع الظروف، ويأتي هذا الشعور نتيجة إخضاع السلوك لحكم العقل واتباع قوانينه والتمسك بالفضائل التي يأمر بها العقل.

وفي مقدمة هذا الاتجاه سقراط الذي أنكر على السوفسطائيين ما ذهبوا إليه من أن اللذة هي غاية الأخلاق، وقرَّر أن السعادة هي الغاية العليا للأخلاق، وهي السعادة النفسية التي لا تتعلق بمظاهر الحياة المادية، وهي أثَر لحالة نفسية نتيجة الانسجام بين رغبات الإنسان وبين الظروف التي يوجد فيها(٣١).

ووافق أفلاطون رأى أستاذه سقراط في أن السعادة هي غاية الأخلاق، وأنها تكمن في تحقيق فضيلة العدالة، وذلك أنه يرى أن ((في النفس قوى ثلاث، هي: القوة الناطقة، والشهوانية، والغضبية، وتديرها ثلاث فضائل، هي على التوالي: الحكمة، والعفة، والشجاعة. والأولى أسْمَاها وأكرمها، والحكيم هو الذي يلزم الاعتدال، ويتمسك بالعفة ويزهد في اللذة، ومتى خضعت الشهوية للغضبية وأذعنت

(٢٩) برتراندراسل: العالم كما أراه، ترجمة: د. نظمى لوقا، كتاب الهلال، مايو ١٩٧٩م، عدد ٣٤١، ص: ٦٨، ٦٩..
(٣٠) د. توفيق الطويل: مذهب المنفعة في فلسفة الأخلاق، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة، ١٩٥٣، ص: ٤١
(٣١) انظر: د. عبد المقصود عبد الغنى: الأخلاق بين فلاسفة اليونان وحكماء الإسلام، مكتبة الزهراء– القاهرة، ١٩٩٣م، ص: ٧٣.

الغضبية للعقل تحققت العدالة. والسعادة عنده تقترن بهذه العدالة، والعادل سعيد وإن أصابته المحن، ونزلت به الكوارث، وخلت حياته من اللذات والمتع، وهذه السعادة عنده هي الخير الأقصى))(٣٢).

فالسعادة الحقيقية هي في تحقيق التوازن بين قوى النفس وفضائلها، كما أنها تكمن في ممارسة أسمى فضيلة للنفس وهي الحكمة – كما ذكر أفلاطون في الجمهورية –.

أما نظرية أرسطو في السعادة فيصفها أحد الباحثين بأنها أهم نظرية في السعادة عرفها تاريخ التفكير الأخلاقي منذ عهد اليونان، والتي عرضها بالتفصيل في كتابه الأخلاق النيقوماخية.

وقد ذهب أرسطو إلى نفس اتجاه الطبيعيين، فالإنسان عنده مركب من بدن ونفس، كلاهما له نصيب من السعادة، وإذا كانت السعادة هي تمام الخيرات، فإننا نحتاج معها إلى سعادات أخرى في البدن وخارج البدن، والسعادة الإنسانية تحصل للإنسان في الدنيا إذا سعى لها وتعب بها حتى يصير إلى أقصاها. وتحديد السعادة عند أرسطو يرجع إلى العقل، وهي ((تتحقق نتيجة الحصول على جميع الخيرات الداخلية والخارجية، والخيرات الخارجية هي الخيرات الحسية كالمال والصحة والنعم الأخرى، والخيرات الداخلية هي الخيرات المعنوية العقلية والنفسية كالحكمة والمعرفة والشجاعة والفضائل الأخرى، وهو وإن كان يجمع بين هذه الخيرات فإنه يفضل الخيرات العقلية والنفسية على الخيرات الخارجية))(٣٣).

وتابع الفلاسفة المسلمون آراء فلاسفة اليونان في السعادة، وهذا ابن رشد يتحدث في تلخيص الخطابة عن فضيلة عظيمة جامعة أطلق عليها صلاح الحال، وباستقراء ما جاء به في هذه الفضيلة وما أورده عن أرسطو فإنه يمكننا القول بأن المقصود بصلاح الحال هاهنا هو السعادة القصوى والخير الأسمى، إذ إن صلاح الحال يشمل جميع الفضائل والكمالات، فهو فضيلة الفضائل أو جامع الفضائل والخيرات(٣٤).

وإذا كان الإنسان مركبًا من نفس وجسم، فوجود الإنسان وتحقيق كماله وسعادته يكمن في السعي إلى تحقيق غايته العليا من خلال إدراكه لقوته العاقلة التي يتميز بها عن سائر الموجودات، وتحقيق الفضائل التي تتطلبها هذه القوة؛

(٣٢) د. توفيق الطويل: فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها، دار النهضة العربية- القاهرة، ط٤، ١٩٧٩م ، ص: ٧٦.
(٣٣) د. عبد المقصود عبد الغني: النظرية الخلقية في الإسلام دراسة مقارنة، دار الثقافة العربية- القاهرة، ١٤١٢هـ ١٩٩١م، ص: ٢٠٩، ٢١٠.
(٣٤) ابن رشد: تلخيص الخطابة، تحقيق وشرح: د. محمد سليم سالم، لجنة إحياء التراث- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م، ص: ٧٢، ٧٣.

ولذا يمكن أيضًا تعريف السعادة بأنها تحقيق لفضائل القوة العقلية، يقول ابن رشد: ((ولهذا يقال في حد السعادة إنها الفعل الذي ينسب إلى النفس العاقلة المؤداة بالفضيلة))(٣٥).

أما ابن سينا فيرى أن الخير الخاص بالإنسان هو بلوغه السعادة، وكل إنسان يبحث عن الخير، والسعادة الحقيقية هي المطلوبة لذاتها لا لغيرها.

ولذا بحث ابن سينا في اللذة، ووضح أنه قد يُظَنُّ أن السعادة هي الفوز باللذات الحسية والرياسات الدنيوية، وبيَّن أن اللذات العاجلة ليس شيء منها بسعادة.

وإذا كانت السعادة الحقيقية تتحقق للإنسان في الآخرة لا في الدنيا، فإنه يمكن أن يصل الإنسان إلى السعادة الدنيوية عن طريق الارتقاء في كمالات النفس والجسد، وتحقيق ما يلزم لهما من كمال، ومن ثم فإن سعادة النفس هي في صورتها عالمًا عقليًّا تنطبع فيها صورة النظام الكلي، أما سعادة الجسد فهي في تحقيق كماله، وللجسد كما للنفس قوى، وكل قوة من قوى النفس البشرية لها ما ينزع إليه من الخير أو الشر، وتحقيق السعادة بأن تصل كل قوى من قوى النفس إلى الكمال الخاص بها(٣٦). والمرء يصل إلى قمة السعادة البشرية عندما تذعن القوة الحيوانية للقوة الناطقة العقلية، ويتم تحقيق التوازن والانسجام بينها، مع التحلي بالحكمة النظرية(٣٧).

كما يصل إلى هذه السعادة عندما تكون لديه ملكة التوسط في أفعاله، ((وذلك بأن تستعمل هذه القوى على التوسط: أما الشهوة فعلى سيرة العفة، وأما الغضب فعلى سيرة الشجاعة، فمن فارق وهو على هذه الجملة اندرج في اللذة الأبدية، وانطبعت فيه هيئة الكمال الذي لا يتغير، مشاهدًا فيه الحق الأول وما يترتب بعده، وكل ذلك متصور في ذاته، وهو كمال ذاته من حيث هو النفس الناطقة، وهو الملتذ الحقيقي وإن لم يشعر به في البدن. وبعبارة أخرى إن السعادة الإنسانية لا تتم إلا بإصلاح الجزء العملي من النفس، وذلك بأن تحصل ملكة التوسط بين الخلقين الضدين))(٣٨).

فالسعادة الحقيقية هي بإتمام الجانب العملي من النفس، بإقامة الموازنة بين متطلبات النفس الناطقة وقوى النفس الأخرى من جهة، وبين هذه القوى مجتمعة ومتطلبات الجسد من جهة أخرى. كما تصل النفس إلى تلك الدرجة عن طريق الإعراض عن اتباعها للدنيا وطيباتها، واجتناب الشواغل والعوائق،

(٣٥) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، نقله إلى العربية: د. حسن مجيد العبيدي، وفاطمة كاظم الذهبي، دار الطليعة – بيروت، ١٩٩٨م، ، ص: ١٥٣.
(٣٦) انظر: الحسين بن سينا: كتاب الإشارات والتنبيهات، طبع مدينة ليدن، ١٨٩٢م، جـ١ ص: ١٠، ١٩١.
(٣٧) انظر: أرثور سعدييف: ابن سينا، ترجمة: د. توفيق سلوم، دار الفارابي- بيروت، ١٩٨٧م، ص: ٢٧٨.
(٣٨) ابن سينا: في علم الأخلاق، تحقيق: د. حسن عاصي، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، ص: ١٢٢، ١٢٣.

وانصراف الفكر إلى قدس الجبروت، والاستدامة بشروق نور الله عز وجل في السر لانكشاف الغم المتضمن بالنفس الناطقة(٣٩).

وإذا كان كمال النفس البشرية هو أن تصير عالمًا عقليًّا فإن سعادتها وبهجتها بهذا الاتصال ليست بعدها سعادة وبهجة، لكن هذا الاتصال كما رأينا وسنرى الآن لا يتم هكذا كضربة من غير رام. فالاتصال لا يتم وفقًا للبخت، بل عن طريق شائك مراد تجاهد فيه النفس أهواءها وميولها ورغباتها، مشتاقة إلى الحق، ولا شيء غير الحق؛ لأن الحق دأبها وديدنها(٤٠).

كذلك يحصل المرء على السعادة إذا اهتم بتحصيل الفضائل والكمالات الأخلاقية، وتكميل جوهره بالأخلاق الفاضلة، وذلك عن طريق العلم والعمل، وفي ذلك يقول ابن سينا: ((وسعادته بتكميل جوهره، وذلك بتزكيته بالعلم بالله والعمل لله، وتزكيته بالعمل لله هو تطهيره عن الأخلاق الرذيلة الردية، وتقويمه عن الصفات الذميمة والعادات السيئة القبيحة عقلا وشرعًا... والتزكية العملية بالطرق المذكورة في كتب الأخلاق، وبالمواظبة على الوظائف الشرعية والسنن الملية من العبادات البدنية والمالية والمركبة منها؛ فإن في الوقوف عند مرضيات الشرع وحدوده والإقدام على امتثال أوامره أثرًا نافعًا في تطويع النفس الأمارة بالسوء للنفس الناطقة المطمئنة؛ أعني تسخير القوى البدنية الشهوانية منها والغضبية للنفس الناطقة المطمئنة))(٤١).

والسعادة الأخروية عند ابن سينا طريقها تنزيه النفس عن الأخلاق الرديئة، حتى يحصل لها ملكة التسلط على البدن، فتعرض عن الباطل، وتصبح جديرة بنيل السعادة الأبدية بعد مفارقة البدن.

- **رابعًا: الاتجاه الإسلامي:**

يرى هذا الاتجاه أن السعادة تتحقق للإنسان إذا جمع بين ثلاثة أنواع من الحياة، وهي الحياة الروحية والحياة المادية والحياة العقلية في ضوء العقيدة والقيم التي جاء بها الإسلام(٤٢).

ومن أعلام هذا الاتجاه الراغب الأصفهاني، وهو يُقَسِّم السعادة إلى نوعين: سعادة أخروية وسعادة دنيوية، والسعادة الدنيوية ثلاثة أضرب: سعادة نفسية وبدنية وخارجية (٤٣).

---

(٣٩) انظر: ابن سينا: رسالة إلى الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير، تحقيق د. عبد الأمير شمس الدين، نشرت مع كتابه: الفكر التربوي عند ابن سينا، الشركة العالمية للكتاب- بيروت، ١٩٨٨م، ص: ٣٩١.

(٤٠) انظر: د. فيصل بدير عون: نظرية المعرفة عند ابن سينا، مكتبة سعيد رأفت، عين شمس، ١٩٧٧م، ص: ٢٨٤.

(٤١) ابن سينا: رسالة في الكلام على النفس الناطقة، تحقيق د. عبد الأمير شمس الدين، نشرت مع كتابه: الفكر التربوي عند ابن سينا ، مرجع سابق، ص: ٤٢٦

(٤٢) د. مقداد يالجن: طريق السعادة، مرجع سابق، ص: ١٣- ١٩.

(٤٣) انظر: الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ص: ٣٤٠

كما أنه يطلق السعادة الحقيقية على الخيرات الأخروية، وتسمية غيرها بهذا الاسم إما لكونه معاونًا على ذلك أو نافعًا فيه، فيقول: ((واعلم أن الفضيلة الكاملة والسعادة الحقيقية هي الخيرات الأخروية، وما عداها فتسميته بذلك إما لكونه معاونًا في بلوغ ذلك أو نافعًا فيه، فكل ما أعان على خير وسعادة فهو خير وسعادة))(٤٤).

وهذه السعادة الأخروية هي أعلى وأشرف أنواع السعادة، وهي الخير المحض والفضيلة الصرف، وتتحقق تلك السعادة بأربعة أشياء ((بقاء بلا فناء، وقدرة بلا عجز، وعلم بلا جهل، وغنى بلا فقر، ولا يمكن الوصول إلى ذلك إلا باكتساب الفضائل النفسية واستعمالها))(٤٥).

أما الغزالي فإنه يرى– مثلما قال الأصفهاني - أن الخير الأسمى هو السعادة الأخروية التي هي بقاء لا فناء له وسرور لا غم فيه، وعلم لا جهل له، وغنى لا فقر يخالطه، ولا يصل الإنسان إلى هذه السعادة إلا عن طريق مجموعة من الفضائل والخيرات التي يحصلها في دار الدنيا، وهى خيرات النفس، وخيرات البدن، وخيرات خارجية، وخيرات توفيقية، وإذا التزم الإنسان بتلك الخيرات والفضائل وصل إلى الكمال الخاص به، ولذا كانت السعادة الأخروية هي النعمة الحقيقية، يقول الغزالي: ((اعلم أن كل خير ولذة وسعادة، بل كل مطلوب ومؤثر فإنه يسمى نعمة، ولكن النعمة بالحقيقة هي السعادة الأخروية، وتسميه ما سواها نعمة وسعادة إما غلط وأما مجاز، كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة نعمة، فإن ذلك غلط محض، وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا، ولكن يكون إطلاقه على السعادة الأخروية أصدق، فكل سبب يوصل إلى سعادة الآخرة ويعين عليها، إما بواسطة واحدة أو بوسائط، فإن تسميته نعمة صحيحة وصدق))(٤٦)

ويوضح ابن تيمية أن الأصول الثلاثة التي هي أصل السعادة وأصل النجاة من العذاب هي توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له، والإيمان برسله واليوم الآخر، والعمل الصالح، كما قال تعالى: (مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)(٤٧) (٤٨).

ويوضح ابن القيم كذلك أن السعادة الحقيقية تكمن في معرفة الله تعالى ومحبته والشوق إلى لقائه، فيقول: ((الكمال الإنساني في ثلاثة أمور: علوم

(٤٤) أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني: الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: د. أبو اليزيد العجمي، دار الوفاء للطباعة والنشر- المنصورة، ط٢، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م ، ص: ١٢٩.
(٤٥) المرجع السابق، ص: ١٢٨.
(٤٦) الغزالي: إحياء علوم الدين، مرجع سابق، جـ ٤ ص: ٩٩. انظر: د. محمد يوسف موسى: فلسفة الأخلاق في الإسلام وصلتها بالفلسفة الإغريقية، مكتبة الخانجي– القاهرة، ط٣، ١٩٩٤م، ص: ١٦٤، ١٦٩، ١٧٠.
(٤٧) سورة المائدة، الآية: ٦٩.
(٤٨) ابن تيمية: بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تحقيق: د. موسى سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٨، جـ١ ص: ٤٩٠ .

يعرفها، وأعمال يعمل بها، وأحوال تُرتَب له على علومه وأعماله. وأفضل العلم والعمل والحال العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعمل بمرضاته، وانجذاب القلب إليه بالحب والخوف والرجاء، فهذا أشرف ما في الدنيا، وجزاؤه أشرف ما في الآخرة، وأجل المقاصد معرفة الله ومحبته والأنس بقربه والشوق إلى لقائه والتنعم بذكره، وهذا أجل سعادة الدنيا والآخرة، وهذا هو الغاية التي تطلب لذاتها، وإنما يشعر العبد تمام الشعور بأن ذلك عين السعادة إذا انكشف له الغطاء وفارق الدنيا ودخل الآخرة))(٤٩).

فاللذة التامة والفرح وطيب العيش إنما هو في معرفة الله وتوحيده، والأنس به، والشوق إلى لقائه، واجتماع القلب والهم عليه، ولذا يحرص المسلم على أن يكون همه وغايته واحدة، تتمثل في مرضاة الله وحده، فهذا غاية سعادة العبد، وصاحب هذه الحال في جنة معجلة قبل جنة الآخرة، وفي نعيم عاجل، ((فالنفس لا تسعد ولا تتزكى، ولا يذهب غمها وهمها وقلقها إلا بالإيمان بالله رب العالمين، فالإيمان هو الرشد الموصل إلى السعادة الأبدية، وهو أساس السعادة، وعنصرها الأول))(٥٠).

- **المبحث الثالث: الفارابي ونظرية السعادة**

قبل أن نعرض لموضوع السعادة عند الفارابي نشير إلى نقطة وثيقة الصلة بها وهي فهمه للذة، فكل فعل له غاية يسعى الإنسان إلى تحصيلها من وراء فعله، فقد تكون هذه الغاية تحقيق لذة ما أو تحقيق خير ما، وكل قوة من قوى الإنسان لها لذة توافق طبيعتها، وإذا كان أرسطو يوافق فلاسفة اللذة على أن البشر قاطبة يطلبون اللذة ويتجنبون الألم، لدرجة أنه يقرر أن ثمة نوعًا من التكافؤ بين الحياة واللذة، وهو يجعل من اللذة بديهية واضحة بذاتها ، وكأنها مطلب منطقي أكثر مما هي حساب نفعي، حتى إنه يرى أن من التناقض أن نتصور وجود كائن يقبل على الألم ويعزف عن اللذة(٥١).

لكن اللذة ليست واحدة، وهناك أنواع متعددة بعضها يتقدم البعض ويفضله، فقد تكون هناك لذة حسية وأخرى عقلية، فأيهما يتقدم الأخرى؟ يشير ابن رشد بأن أفضلهما هي ما تكون مطلوبة من الجميع، وتكون موافقة للإنسان من حيث هو إنسان، ((فالمحسوسات لها لذة، والعلوم أيضًا لها لذة، وعند المقارنة بينهما يتبين أن شهوة العلوم فاضلة، وشهوة الأكل غير فاضلة، والحكمة أفضل من النكاح، فشهوتها أفضل من شهوة النكاح))(٥٢). فهناك إذًا لذة معنوية وعقلية، وهي أفضل من اللذة المادية، يقول ابن رشد نقلا عن أرسطو: ((والأشياء التي

(٤٩) ابن القيم: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، تحقيق: د. بدير محمد بدير، دار اليقين- المنصورة، ط٢، ص: ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، ص: ١٨٢.

(٥٠) ابن القيم: إغاثة اللهفان، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الحديث- القاهرة، ١٩٩١م، ص: ٧٨، ٧٩. وانظر: رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، تحقيق: عبد الله المضيفر، مكتبة الملك فهد الوطنية- الرياض، ص: ٢٥- ٣١.

(٥١) د. زكريا إبراهيم: المشكلة الخلقية، مكتبة مصر- القاهرة، ط٣، ١٩٨٠م، ص:١٢٤.

(٥٢) ابن رشد: تلخيص الخطابة، مرجع سابق، ص: ٦١.

شهوتها فاضلة أفضل من التي شهوتها غير فاضلة، مثال ذلك أن شهوة العلوم فاضلة، وشهوة الأكل والشرب غير فاضلة، فالعلوم أفضل من الأكل والشرب. وأيضًا عكس هذا ؛ وهو أن ما هو أفضل، فشهوته أفضل، مثل أن الحكمة أفضل من النكاح، فشهوتها أفضل من شهوة النكاح، وأيضًا فإن العلوم التي هي أحسن وأفضل، فأفعالها خير وأفضل))(٥٣).

وهكذا لا يسلم أرسطو باعتبار اللذة الحسية غاية الإنسان، وليست هي الخير الأقصا، ومن ثم فإنه يفضل اللذة العقلية عليها ؛ لأن كمال الإنسان مرهون بتأدية وظيفته التي تميزه عن سائر الكائنات وهي التعقل أو التأمل(٥٤).

وابن سينا يعلي من شأن اللذة العقلية على اللذة الحسية تمامًا كما رفع من شأن العقل على الحس في نظريته في المعرفة، فاللذة العقلية عند ابن سينا أقوى من اللذة الحسية، ولذا وجب ألا نقيم وزنًا لمن يرون السعادة لا تتحقق في إلا في الأكل والشرب والنكاح، يرد ابن سينا على هؤلاء ببيان أحوال الملائكة حيث لا يأكلون ولا يشربون، وحالهم ألذ وأبهج وأنعم من حال أصحاب اللذة(٥٥).

ومن ثم فاللذة درجات أدناها اللذة الحسية، ومن هنا جاء تعريف ابن سينا لماهية اللذة والألم بقوله: ((اللذة هي إدراك ونيل لوصول ما هو عند المدرك كمال وخير من حيث هو كذلك، والألم هو إدراك ونيل لوصول ما هو عند المدرك آفة وشر))(٥٦).

- **اللذة سعادة زائفة**:

سبق الإشارة إلى أن بعض الفلاسفة نظروا إلى اللذة باعتبارها غاية عليا، وكانت نظرة الفارابي إلى اللذة نظرة متوازنة، فلم يجعلها غاية عليا يسعى إليها الإنسان، ولم يهملها، وقد تكلم الفارابي عن اللذة في التنبيه على سبيل السعادة، وقسَّم اللذات إلى حسية وعقلية، فقال: ((واللذات منها ما يتبع المحسوس مثل اللذات لتابعة لمسموع أو منظور إليه أو مذوق أو ملموس أو مشموم، ومنها ما يتبع المفهوم مثل اللذات التابعة للرئاسة والتسلط والغلبة والعلم، وما أشبه ذلك، ونحن دائما نتحرى أكثر اللذات التي تتبع المحسوس، ونظن أنها غاية الحياة وكمال العيش من قِبَل اصطناعنا لها من أول وجودنا))(٥٧). كما قسَّم اللذات أيضًا إلى ما هو عائد لسبب ضروري لنا أو للعالم، فالذي يعود لسبب ضروري فهو

---

(٥٣) المرجع السابق، ص:٢٤.

(٥٤) انظر: د.توفيق الطويل: فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها، مرجع سابق، ص:٨٦.

(٥٥) انظر: ابن سينا: الإشارات والتنبيهات، مرجع سابق، ط٨، ص: ٧٥١.

(٥٦) انظر: أبو علي الحسن بن سينا: المرجع السابق، ص:٧٥٣، والنجاة، طبع محي الدين صبري الكردي، مطبعة السعادة- القاهرة، ط٢، ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م ، ص: ٢٤٥، وعيون الحكمة، حققه وقدم له: د. عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات- الكويت، دار القلم- بيروت، ط٢، ١٩٨٠م، ص: ٥٩.

(٥٧) الفارابي: كتاب التنبيه على سبيل السعادة، تحقيق وتقديم وتعليق: د. جعفر آل ياسين، ضمن مجموعة: الفارابي الأعمال الفلسفية، دار المناهل – بيروت، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، ج١ ص: ٢٤٨،٢٤٧.

التغذي الذي به قوام حياتنا، وأما الضروري في العالم فالتناسل، وهذا مما يجعل البعض يظن أن اللذات هي غاية العيش وأنها السعادة، وقد أشار الفارابي إلى أثر اللذة في الإنسان؛ حيث تجعله ينحرف إلى الشهوات ويؤثرها على الخيرات والأفعال الفاضلة؛ فتكون بذلك صادة عن فعل الخير والجميل وعن السعادة الحقيقية، وعلى العاقل أن يتسامى عن تلك اللذات ولا ينال منها إلا بالقدر المباح الذي يحتاج إليه ليصل إلى الكمال الحقيقي والسيرة الحسنة والأخلاق المحمودة، يقول الفارابي: ((وقد تبين بالنظر والتأمل أنها هي الصادة عن أكثر الخيرات وهي العائقة عن أعظم ما تنال به السعادة، فإنا متى رأينا أن لذة محسوسة تفوتنا لفعل جميل ملنا إلى تنكب الجميل، ومتى بلغ من قوة الإنسان أن يطرح هذه اللذات أو ينال منها بقدر فقد قارب الأخلاق المحمودة))(٥٨).

ويوضح الفارابي أن اللذات سواء أكانت حسية أم عقلية فهي إما عاجلة وإما مؤجلة، وكذلك الأذى الذي ينتج من أفعالها إما عاجل وإما آجل، فقد يكون من شأن الفعل أن يتبعه دائمًا لذة أو أذى، مثل اللذة التي تتبع الباءة والألم الذي يتبع الإحراق، وقد يتبع الفعل الأذى لمخالفته للشريعة كحال الزاني والقاتل، ((والأفعال الجميلة التي يتبعها أذى في العاجل فإن تلك لا محالة تتبعها لذة في العاقبة، والأفعال القبيحة التي تتبعها لذة في العاجل فإن تلك يتبعها أذي في العاقبة))(٥٩).

ويستطيع المرء من خلال الموازنة بين اللذة العاجلة الناتجة عن الفعل والأذى الآجل الذي يتبعه أن يبتعد عن الفعل إذا علم أن أذاه في الآجل أشد من لذته الحالية، كذلك يستطيع من خلال الموازنة بن الأذى والألم الذي يتبع الفعل في العاجل وبين ما ينتج عنه من ثواب أو لذة في الآجل أن يختار الفعل الجميل حتى لو صاحبه أذى وألم، يقول الفارابي: ((وينبغي أن نحصل اللذات التابعة لفعل فعل، والأذى التابع له، ونميز ما منها لذته عاجلة وأذاه في العاقبة، فمتى ملنا إلىً فعل قبيح بسبب لذة ظننا أنها تتبع الفعل القبيح في الآجل قابلنا تلك اللذة بالأذى التابع له في العاقبة، فقمعنا به اللذة الداعية لا إلى فعل القبيح، فيسهل علينا بذلك ترك القبيح. ومتى ملنا إلى ترك فعل جميل بسبب أذى يلحق في العاجل قابلناه باللذة التي تتبع الجميل في العاقبة، فقمعنا به الأذى الصارف لنا عن الجميل، فيسهل علينا فعل الجميل. وأيضًا متى ملنا إلى قبيح بسبب لذة عاجلة فيه قابلناها بما فيها في الآجل من القبح))(٦٠).

وهذا ميزان دقيق في الموازنة بين الأفعال واختيار الجميل وتفضيله على القبيح، حتى لو كان ذلك على حساب التضحية بلذة عاجلة، ومما يحسب للفارابي هنا

(٥٨) المرجع السابق، جـاص: ٢٤٨.
(٥٩) المرجع السابق، جـاص:٢٤٩.
(٦٠) المرجع السابق، جـاص: ٢٤٩، ٢٥٠.

أنه أشار إلى الشريعة باعتبارها ميزانًا ندرك به قيمة الفعل ومدى تطابقه مع الأخلاق، فما كان ممنوعًا في الشريعة ولو نتج عنه لذة عاجلة فإن الأولى بالعاقل أن يبتعد عنه لأن في مخالفة للشريعة وارتكاب هذا الفعل كثير من الأذى والألم في الآجِل، يقول الفارابي: ((واللذات التابعة للأفعال بعضها أعرف ونحن لها أشد إدراكا، وبعضها أخفى. والأعرف هو ما كان في العاجل، وكان له لذة محسوس، وكذلك الأذى فإن ما كان منه في العاجل وكان عن محسوس فإنه أظهر عندنا، ولا سيما إذا كان مع ذلك الأذى وضع في الشريعة...))(٦١).

فبعض اللذات قد يكون ظاهرًا معروفًا وبعضها قد يكون خفيًّا، فالمعروف من اللذات ما كان في العاجل وكان محسوسًا، وكذلك الأذى المعروف ما كان عاجلا وحسيًّا أو كان بسبب مخالفة الشريعة، وما سوى ذلك من اللذات والأذى فهو خفي كغير المحسوس أو ما كان بالطبع أو كان في العاجلة، ((والأحرار من الناس متى أرادوا أن يسهلوا على أنفسهم فعل الجميل وترك القبيح باستعمال اللذة والأذى، فإن الأخفى منهما والأظهر عندهم بمنزلة واحدة، فإن اللذات الداعية لهم إلى القبيح تنقمع بالأذى، وإن كان الأذى من التي هي أخفى، كما ينقمع بما هو أظهر من قِبَل أن جودة رؤيتهم تجعل ما شأنه أن يخفى على الأكثر بمنزلة الأظهر))(٦٢).

وهكذا يختار العقلاء فعل الجميل وترك القبيح، ولا يخفى عليهم كون اللذة في القبيح ظاهرة أم خفية، أما من هم دونهم من الناس فلا يبتعدون عن اللذة إلا إذا كان ألمها ظاهرًا وأذاها عاجلا، وفي رياضة هؤلاء يشير الفارابي إلى أنه يمكن أن تنقمع نفوس بعض هؤلاء بلذة توضع لهم إذا تركوا القبيح، - وبهذا الوجه ينبغي أن يؤدب الصبيان – وإن كان ذلك لا يكفي زِيدَ إليه أذى يعقب القبيح(٦٣).

وفي هذا إشارة إلى أسلوب الثواب والعقاب، وهو من الأساليب التربوية المرغوبة في تثبيت الخلق الحسن والبعد عن القبيح، كما أنه من الوسائل التي اتبعها الشرع في سياسة الناس. ولا شك أن الجزاء من الأسس التي تُبْني عليها الأخلاق في الإسلام، وإشعار من يراد تربيتهم بوجود التلازم بين الأخلاق والجزاء، وأن العقاب نتيجة طبيعية لارتكاب القبيح له دور فعال في رياضة بعض الناس وإبعادهم عن السلوك غير القويم، وفي ذلك يقول أحد الباحثين: ((ينبغي ألا تفوت خطيئة من غير جزاء، وأن تكون المجازاة بطريقة طبيعية لا بطريقة مباشرة أو بطريقة الانتقام، وذلك ليشعر أن هذا الجزاء أمر ناتج من طبيعة المخالفة للقوانين الأخلاقية لا من نتيجة المخالفة لأمر المربي، وذلك ليتكون عنده شعور

(٦١) المرجع السابق، جـاص: ٢٥٠، ٢٥١.
(٦٢) المرجع السابق، جـاص: ٢٥١، ٢٥٢.
(٦٣) انظر: المرجع السابق، جـاص: ٢٥٢.

بالتلازم الدائم بين كل خطيئة وبين الجزاء الناتج عن طبيعة هذه الخطيئة... فهذا الشعور بعدم النجاة من عواقب الخطيئة إن عاجلا أو آجلا سكون سياجًا أمام الانحراف عن الجادة وزاجرًا عما تحدثه به نفسه من المساوئ))(٦٤).

والجدير بالذكر أن الفارابي في تناوله للَّذة نراه يعرض لعواقب الفعل وما ينجم عنه من لذة أو من ألم، ولذلك فهو يدعو إلى الابتعاد عن أية لذة عاجلة قد تؤدي إلى أذى آجل، كما يدعو إلى التحلي بالأعمال الخيرة الجليلة وتحمل ما ينتج عنها من ضرر عاجل ما دام يؤدي في الآجلة إلى لذة دائمة. وهذه دعوة طيبة تكفل دفع الإنسان نحو فعل الخير والجميل والابتعاد عن الشر والقبيح.

والواقع أن الفارابي - وإن كانت نظرته إلى اللذة تتوافق مع بعض فلاسفة اليونان كجالينيوس وأفلاطون – فإنه لم يوحِّد بين السعادة واللذة، وكان مذهبه في ذلك مختلفا عن مذهب أرسطو وعن نظرته إلى اللذة، بل جعل السعادة هي الغاية القصوى والخير الأسمى، ولا يصل الإنسان إليها إلا بصفاء نفسه واكتسابه للكمالات وخروجه عن عالم الماديات، يقول الفارابي في تعريفه السعادة: ((هي أن تصير نفس الإنسان من الكمال في الوجود إلى حيث لا تحتاج في قوامها إلى مادة، وذلك أن تصير في جملة الأشياء البريئة عن الأجسام وفي جملة الجواهر المقارنة للمواد، وأن تبقى على تلك الحال دائمًا أبدًا... وهي أقصى ما يكمل به الإنسان... إن الشيء الذي بحصوله تحصل السعادة هو علم ما وسيرة ما... والسعادة هي السيرة الفاضلة))(٦٥). وهكذا جعل الفارابي السعادة لا تنال إلا بالفضائل والأعمال الخيرة.

- **السعادة هي الغاية العليا** :

يشير الفارابي إلى أن السعادة هي الغاية العليا للأخلاق، وهى أساس الخير الأسمى، وهي غاية يطلبها كل إنسان؛ لأنها خير مفضل على غيره، بل هي أفضل الخيرات وأعظمها، فيقول: ((أما أن السعادة الإنسانية هي غاية ما يتشوقه كل إنسان، وأن كل من ينحو بسعي نحوها، فإنما ينحوها على أنها كمال ما، فذلك ما لا يحتاج في بيانه إلى قول، إذ كان في غاية الشهرة... وقد تبين أن السعادة من بين الخيرات أعظمها خيرًا، ومن بين المؤثرات أكمل كل غاية سعى الإنسان نحوها من قبل))(٦٦).

وتنقسم الخيرات التي تؤثر إلى قسمين: منها ما يؤثر لينال بها غاية أخرى مثل الرياضة وشرب الدواء، ومنها ما يؤثر لأجل ذاته. وهذا القسم الأخير الذي يؤثر لأجل ذاته ينقسم أيضًا إلى ما قد يؤثر أحيانًا لأجل شيء آخر مثل العلم، فقد

(٦٤) د. مقداد يالجن: التربية الأخلاقية الإسلامية، رسالة دكتوراه، دار عالم الكتب – الرياض، ط٣، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، ص: ٣٧٦.

(٦٥) د. جعفر آل ياسين: الفارابي في حدوده ورسومه، عالم الكتب- بيروت، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، ص: ٢٨٤.

(٦٦) الفارابي: كتاب التنبيه على سبيل السعادة، مرجع سابق، جـ١ ص: ٢٢٧، ٢٢٨.

يريد به الإنسان الثروة أو الرئاسة. أما الذي يؤثر لذاته على الدوام فهو أعلى الخيرات وأرفعها وأكملها وأعظمها خيرًا.

ولا شك أن ذلك لا يتحقق إلا في السعادة، فهي الغاية العليا التي ليس بعدها غاية، ((ولما كنا نرى أن السعادة إذا حصلت لنا لم نحتج بعدها أصلا أن نسعى لغاية ما أخرى غيرها ظهر بذلك أن السعادة تؤثر لأجل ذاتها، ولا تؤثر في وقت من الأوقات لأجل غيرها، فتبين من ذلك أن السعادة هي آثر الخيرات وأعظمها وأكملها. وأيضًا فإننا نرى أنها إذا حصلت لنا لم نحتج معها إلى شيء آخر غيرها، وما كان كذلك فهو أحرى الأشياء بأن يكون مكتفيًا بنفسه))(٦٧).

ويؤكد على هذا المعنى موضحًا أن السعادة هي الخير والغاية التي تطلب من غير أن يكون وراءها غاية أخرى، فيقول: ((والسعادة هي الخير المطلوب لذاته، وليست تطلب أصلا، ولا في وقت من الأوقات لينال بها شيء آخر، وليس وراءها شيء آخر يمكن أن يناله الإنسان أعظم منها)) (٦٨). ويقول أيضًا: ((هي خير على أنها الغاية من غير أن يكون وراءها غاية أخرى تُطلب بالسعادة))(٦٩).

وهكذا يؤكد الفارابي في أكثر من موضع على أن السعادة هي الغاية العليا والخير الأقصى، بل إن كل ما يوصل إليها هو خير بالتبعية، وكل ما عاق عنها هو شر مطلقا، يقول الفارابي: ((والسعادة هي الخير على الإطلاق، وكل ما ينفع في أن تبلغ به السعادة وتنال به فهو أيضًا خير، لا لأجل ذاته، لكن لأجل نفعه في السعادة، وكل ما عاق عن السعادة بوجه ما فهو الشر على الإطلاق))(٧٠).

فخلاصة مذهب الفارابي في هذا الموضوع هو أن السعادة غاية كل إنسان إذا حصلت له فإنه لا يسعى إلى غاية أخرى، ذلك أنها كمال وخير.

ويكاد يتفق رأي الفلاسفة المسلمين في أن السعادة هي الغاية العليا للأخلاق؛ فمسكويه يرى أن السعادة القصوى هي الغاية النهائية للإنسان، والسعادة النفسية نوعان: سعادة خُلقية تتحقق بالفضائل، وتمكن الإنسان من أن يعيش هانئًا، وهي ليست غاية نهائية، وليست مقصودة لذاتها، وإنما تهدف إلى أن ينسجم المرء في تصرفاته مع غيره من بني جنسه، فهي نوع من الخير بالإضافة إلى صاحبها، وهي الكمال القريب الذي يكون بالقوة العاملة. أما السعادة القصوى فهي الخير المطلق، وهي أرقى من الأولى بكثير، لأنها ليست وسيلة، بل هي غاية الغايات المقصودة. فالسعادة ألذ الأشياء وأفضلها وأجودها وأوضحها ، وهي لذة أبدية وتامة وإلهية،

(٦٧) المرجع السابق، جـ١ ص: ٢٢٨، ٢٢٩.
(٦٨) أبو نصر الفارابي: كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة، قدم له وحققه: ألبير نصري نادر، المطبعة الكاثوليكية- بيروت، ١٩٥٩م، ، ص:١٩، وانظر: كتاب السياسة المدنية، قدَّم له وشرحه: د. علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال- بيروت، ١٩٩٦م، ، مرجع سابق، ص:٨١.
(٦٩) الفارابي: فصول منتزعة، د. دن ، د. ت، ص:١٨.
(٧٠) الفارابي: كتاب السياسة المدنية، مرجع سابق، ص: ٨١.

تفعل الأشياء كلها لأجلها، وهي الغاية التامة التي إذا وصلنا إليها لم نحتج أن نستزيد فنقتني أشياء أخر، يقول مسكويه: ((وأما السعادة فقد قلنا أنها خير ما وهي تمام الخيرات وغاياتها والتمام هو الذي إذا بلغنا إليه لم نحتج معه إلى شيء آخر فلذلك نقول: أن السعادة هي أفضل الخيرات))(٧١).

ويؤكد ابن رشد على أن السعادة هي الفضيلة الرئيسية التي تُفْعَل الفضائل كلها من أجلها، ولا خير بعدها يُطلب، فيقول: ((ثمة فضيلة واحدة هي التي تكون بقية الفضائل من أجلها، وهذه الفضيلة لا توجد بسبب أي شيء، بل هي مطلوبة لذاتها، بينما الفضائل الأخرى مطلوبة لأجلها، إذن هذا هو الكمال الأسمى للإنسان والسعادة القصوى له))(٧٢).

ويرى ابن سينا أن الخير الخاص بالإنسان هو بلوغه السعادة، وكل إنسان يبحث عن الخير، والسعادة الحقيقية هي المطلوبة لذاتها لا لغيرها. ولذا بحث ابن سينا في اللذة ووضح أنه قد يظن أن السعادة هي الفوز باللذات الحسية والرياسات الدنيوية، وبين لمن تحقق الأمور أن اللذات العاجلة ليس شيء منها بسعادة(٧٣).

ولعلهم في ذلك يأخذون من أرسطو حينما تعرَّض لدراسة السعادة، فأشار إلى أن كل فعل بشري لا بد من أن يهدف إلى خير ما؛ لأن الغائية تطبع بطابعها حياة الموجود البشري بأكملها، ولكننا ننتقل في سلسلة الغايات من خير إلى خير حتى نصل في خاتمة المطاف إلى خير أقصى يكون هو وحده الكفيل بإشباع إرادتنا وتوجيه حياتنا وتحقيق سعادتنا. وقد سلم أرسطو - مع كل من سقراط وأفلاطون _ بأن الخير الأقصى هو السعادة، وإن كان قد حاول أن يثبت ذلك بأدلة عقلية، وحجته في ذلك أن السعادة تُختار لذاتها دون أن تكون وسيلة لغاية أخرى من جهة، وأنها كافية بنفسها لإسعاد الحياة دون حاجة لخير آخر من جهة أخرى. ومعنى هذا أن الناس يطلبون الخيرات الأخرى – كاللذة والكرامة السياسية والحكمة – لأجل السعادة، في حين أنهم لا يطلبون السعادة لشيء آخر(٧٤).

- **أسباب السعادة**:

وبما أن الوصول إلى السعادة هو مقصود وغاية وجود الإنسان؛ فلا بد لكي يبلغها أن يجعلها غايته، وأن يعرف الأسباب والوسائل التي تنال بها فيؤديها، يقول الفارابي: ((وإذا كان المقصود بوجود الإنسان أن يبلغ السعادة القصوى؛ فإنه يحتاج في بلوغها إلى أن يعلم السعادة، ويجعلها غايته ونصب عينيه، ثم يحتاج بعد

(٧١) أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، ص: ٩٠. وانظر ص: ١١١- ١١٤.
(٧٢) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، مرجع سابق، ص: ١٥٥.
(٧٣) انظر: ابن سينا: رسالة السعادة، ص: ٣.
(٧٤) انظر: د. زكريا إبراهيم: المشكلة الخلقية، مرجع سابق، ص: ١٤٤.

ذلك إلى أن يعلم الأشياء التي ينبغي أن يعلمها حتى ينال بها السعادة، ثم أن يعمل تلك الأعمال))(٧٥).

والوجه الذي به يمكن أن يصير الإنسان نحو هذه السعادة يبدأ بتحصيل المعقولات أو المعارف الأولى، وذلك هو الكمال الأولى، والذي عن طريقه يصل الإنسان إلى الكمال الأخير، وهو السعادة، يقول الفارابي: ((وحصول المعقولات الأولى للإنسان هو استكماله الأول، وهذه المعقولات إنما جعلت له ليستعملها في أن يصير إلى استكماله الأخير، وذلك هو السعادة، وهي أن تصير نفس الإنسان من الكمال في الوجود إلى حيث لا تحتاج في قوامها إلى مادة، وذلك أن تصير في جملة الأشياء البريئة عن الأجسام، وفي جملة الجواهر المفارقة للمواد، وأن تبقى على تلك الحال دائمًا أبدًا. إلا أن رتبتها تكون دون رتبة العقل الفعال(٧٦). وإنما تبلغ ذلك بأفعال ما إرادية؛ بعضها أفعال فكرية، وبعضها أفعال بدنية، وليست بأي أفعال اتفقت، بل بأفعال ما محدودة مقدرة تحصل عن هيئات ما وملكات ما مقدرة محدودة، وذلك أن من الأفعال الإرادية ما يعوق عن السعادة... والأفعال الإرادية التي تنفع في بلوغ السعادة هي الأفعال الجميلة. والهيئات والملكات التي تصدر عنها هذه الأفعال هي الفضائل، وهذه خيرات هي لا لأجل ذواتها، بل إنما هي خيرات لأجل السعادة. والأفعال التي تعوق عن السعادة هي الشرور، وهي الأفعال القبيحة والهيئات والملكات التي عنها تكون هذه الأفعال هي النقائص والرذائل والخسائس))(٧٧).

فالعاقل يصل إلى السعادة عن طريق تحصيل المعقولات الأولى والأفعال الإرادية من الأفعال الجميلة والفضائل، وكذلك يبتعد عما يعيقه عنها من الأفعال القبيحة والرذائل والشرور.

ويشير الفارابي إلى أن السعادة لا تنال إلا إذا كانت تلك الأفعال الجميلة صادرة عن الإنسان بإرادته واختياره وطوعًا عنه، وذلك بأن يختار الإنسانُ الجميلَ في كل ما يفعله وفي زمان حياته بأسره(٧٨).

فالسعادة تنال بممارسة الأعمال المحمودة عن إرادة وفهم متصلين، ولذا فأي إنسان يستطيع عمل الخير ويسير فيه، وينال السعادة إذا أراد ذلك، فما عليه إلا محاولة تنمية خصال الخير الموجود في نفسه بالقوة لتصير ملكة راسخة تتجه دائمًا إلى عمل الخير، فإن الممارسة عنصر مهم عند الفارابي لاكتساب الأخلاق المحمودة أو المذمومة، ومن الممارسة تتولد العادة.

---

(٧٥) الفارابي: كتاب السياسة المدنية، مرجع سابق، ص:١٩.
(٧٦) لست مع الفارابي في كلامه عن العقل الفعال ونظرية الفيض، تلك المستقاة من الفلسفة الإغريقية الأفلوطينية، والتي تتناقض مع مبادئ الإسلام، فضلا عن كونها تلفيقات غير مستساغة ولا مقبولة عقلا.
(٧٧) الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة، مرجع سابق، ص:١٩، وانظر: كتاب السياسة المدنية، مرجع سابق، ص:٨١.
(٧٨) انظر: الفارابي: كتاب التنبيه على سبيل السعادة، مرجع سابق، ج١ ص:٢٣١.

ويوضح الفارابي في التنبيه على سبيل السعادة أن الإنسان يمكن أن ينال السعادة بأحواله التي يلحقها حمد أو ذم، وهي ثلاثة:

- أحدها: الأفعال التي يحتاج فيها إلى استعمال أعضاء بدنه الآلية، مثل القيام والقعود والركوب والنظر والسماع.
- والثاني: عوارض النفس، مثل الشهوة واللذة والفرح والغضب والخوف والشوق والرحمة والغَيْرة، وأشباه ذلك.
- والثالث: التمييز بالذهن، وذلك بتمييز ما يَرِد على الإنسان، أو باعتقاد حق(٧٩).

والإنسان مفطور من أول وجوده على قوة غير مكتسبة يفعل بها الحَسَن أو القبيح، وبها تكون هذه الثلاثة - أفعاله، وعوارض نفسه، وتمييزه - على ما ينبغي أو على غير ما ينبغي، ثم تحدث له بعد ذلك حال يكتسبها – عن طريق العادة والتدريب والرياضة وغيرها – وتصبح ملكة لا يمكن زوالها أو يعسر، وبها يتوجه الإنسان إلى أحد الأمرين فقط؛ إما إلى الجميل وإما إلى القبيح، ومن ثم فإنه يصل على السعادة أو عدمها باختياره وفعله، فيكون سعيدًا عند جودة التمييز والخلق الجميل،((فالخلق الجميل وقوة الذهن هما جميعًا الفضيلة الإنسانية، من قبيل أن فضيلة كل شيء هي التي تكسبه الجودة والكمال في ذاته، وتكسب أفعاله جودة، وهذان جميعًا هما اللذان إذا حصلا حصلت لنا الجودة والكمال في ذواتنا وأفعالنا، فبهما نصير نبلاء أخيارًا فاضلين، وبهما تكون سيرتنا في حياتنا سيرة فاضلة، وتصير جميع تصرفاتنا محمودة))(٨٠).

ويذكر الفارابي في كتابه تحصيل السعادة الفضائل الأربع التي بها تحصل السعادة للناس في الدنيا والآخرة، فيقول: ((الأشياء الإنسانية التي إذا حصلت في الأمم وفي أهل المدن حصلت لهم بها السعادة الدنيا في الحياة الأولى والسعادة القصوى في الحياة الأخرى أربعة أجناس: الفضائل النظرية والفضائل الفكرية والفضائل الخلقية والصناعات العملية))(٨١).

ويتضح لنا من العرض السبق أن الفارابي يفصل بين السعادة واللذة، ويرى السعادة هي الغاية القصوى، بينما اللذة مجرد متعة لحظية قد يعقبها كثير من اللذة والألم، ولذا طالب بالتريث في تناول اللذات مع الموازنة بين نتائجها في العاقبة، ومقارنتها بما ينتج عنها من أذى، ومن ثم فلستُ مع مَنْ يقول: ((الفارابي من جهة أخذ بالمعنى اليوناني لكلمة الأخلاق، فوحَّد مثلما وحَّدت بين السعادة واللذة والخير والكمال الأقصى...))(٨٢).

---

(٧٩) المرجع السابق، ج١ ص: ٢٣٠.
(٨٠) السابق نفسه، ج١ ص: ٢٣٤، ٢٣٥.
(٨١) الفارابي: تحصيل السعادة، تقديم: علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، لبنان، ١٩٩٥م، ص: ٢٥. انظر: سعيد زايد: الفارابي، دار المعارف- القاهرة، ط٤، ١٩٨٨م، ص: ٥٣.
(٨٢) سعيد زايد: الفارابي، مرجع سابق، ص: ٢٨.

والواقع أن الفارابي، وإن كانت نظرته إلى اللذة تتوافق مع بعض فلاسفة اليونان كجالينيوس وأفلاطون، إلى أنه لم يوحِّد بين السعادة واللذة، وكان مذهبه في ذلك مختلفا عن مذهب أرسطو وعن نظرته إلى اللذة، بل جعل السعادة هي الغاية القصوى والخير الأسمى، ولا يصل الإنسان إليها إلا بصفاء نفسه واكتسابه للكمالات وخروجه عن عالم الماديات، يقول الفارابي في تعريفه السعادة: ((هي أن تصير نفس الإنسان من الكمال في الوجود إلى حيث لا تحتاج في قوامها إلى مادة، وذلك أن تصير في جملة الأشياء البريئة عن الأجسام وفي جملة الجواهر المقارنة للمواد، وأن تبقى على تلك الحال دائمًا أبدًا... وهي أقصى ما يكمل به الإنسان... إن الشيء الذي بحصوله تحصل السعادة هو علم ما وسيرة ما... والسعادة هي السيرة الفاضلة))(٨٣).

فالفارابي يرى أن السعادة ليست في اللذات الحسيه وإن كانت في الدار الآخرة، وإلا كانت قوى النفس الناطقة على شرفها وكرامتها مسخرة لجلب هذه اللذات، وهو في هذا الرأي يتفق مع أفلاطون وأرسطو والرواقيين في رفضهم جميعًا أن تكون هذه اللذات هي الخير الأعلى. وإنما السعادة تكون بتحصيل الحكمة النظرية والعملية على النحو الذي سبق. وهذا المذهب في فهم السعادة وبيان الوسيلة إليها لم يخرج عن فهم فلاسفة اليونان أيضًا، فعند أفلاطون لا بد من الفضائل الأخلاقية والتحرر من نير اللذات والشهوات لتستنير البصيرة، فيمكنها التفكر في عالم الحقيقة، أى ليمكن الوصول إلى الفضيلة الفلسفية التي تتم بها السعادة.

والواقع أننا نرى بوضوح تأثر الفارابي - في معالجته لمسألة الخير الأقصى أو السعادة القصوى للإنسان - بما ورثه من الثقافات الإغريقية، كما نرى فيه أيضا نزعة الاختيار والتلفيق وروح النقد لما يعرض من آراء.

لقد نقل الفارابي عن أرسطو رأيين في السعادة:

- الرأي الأول: يرى أن الفضيلة وحدها لا تكفى للسعادة التي يجب أن يضاف إليها الخيرات الخارجية من صحة وثروة وجاه وحسن ذكر ونحوها لتكون تامة.
- والرأي الثاني: الذي يتعلق بالأمور الروحانية، باجتماع الكمال النظري والعملي، فيصير الإنسان بهذا الكمال مستعدًا لقبول الفيض الإلهي، وهذه هي الرتبة العليا والسعادة القصوى.

وهذا الرأي الأخير ينقله الفارابي عن أرسطو من كتابه فضائل النفوس، وحاول أن يجمع بين الرأيين، ويزيل ما بينهما من تناقض بأن علل اشتراط أرسطو

(٨٣) د. جعفر آل ياسين: الفارابي في حدوده ورسومه، عالم الكتب- بيروت، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، ص: ٢٨٤.

للخيرات الخارجية لتتم بها السعادة. فالفارابي في هذه المسألة أولى أن يكون أفلاطونيًّا من أن يكون أرسطيًّا، ولعل الذي جعله يقع في هذا الخطأ . فيما نعتقد . حين رأى نفسه اختار ما اختار أرسطو في السعادة من رأي، أن الكتاب الذي استند إليه لدعم رأيه . وهو كتاب فضائل النفس . قد يكون مِن الكتب المدسوسة على أرسطو التي نسبها بعض الشراح أو المترجمين له ترويجا لها، أو لغير ذلك من العوامل.

فهناك اضطراب بين رأي المعلم الأول في كتاب فضائل النفس على فرض صحته، وبين رأيه في كتاب الأخلاق إلى نيقوماخوس الثابت النسبة له يقينًا، فيما يختص بالسعادة؛ فإن الكتاب الأول يجعله لا يقيم للدنيا ولا لشيء من خيراتها وزنًا، فهي لا تستحق لهذا أن يأسف المرء على ما فات منها، ولا أن يحرص عليها، على حين الكتاب الآخر - كما لاحظ مسكويه نفسه - يجعله يرى أن السعادة لا تتم إلا بهذه الخيرات التي دعاها خيرات خارجية))(٨٤).

أخذ الفارابي في تناوله للسعادة وفي حديثه عن اللذة عن غيره، وخاصة أرسطو وأفلاطون وأفلوطين، ((وإذا كانت السعادة التامة عند الفارابي نجد أصولها في كتاب الأخلاق لأرسطو فإنها ترتبط حتى لا انفصام بتساعيات أفلوطين وفكرة انخطاف النفس وانجذابها إلى الملأ الأعلى))(٨٥)، لكنه مزج كل ذلك، وصبغه بصبغة إسلامية واضحة، ووضع فلسفته في الإطار الذي يتلاءم وظروف البيئة التي عاش فيها. فإذا كان الفارابي في تناوله للسعادة وفي حديثه عن اللذة قد أخذ عن غيره، وخاصة أرسطو وأفلاطون وأفلوطين، فإنه قد مزج كل ذلك، وصبغه بصبغة إسلامية واضحة، ووضع فلسفته في الإطار الذي يتلاءم وظروف البيئة التي عاش فيها.

فلا نجد في تناول الفارابي للسعادة ما يشذ به أو يخرج عن التعاليم الدينية، ومن ثم نرفض قول أحد الباحثين: ((أما عند الفارابي فيتسامى فهم السعادة فوق الحدود الدينية واضعًا السعادة فوق الوصايا الغيبية))(٨٦).

- **الخاتمة**:

لقد حاولت في هذا البحث أن أسعى إلى تحديد مفهوم السعادة وأسباب تحصيلها ومعالم طريقها عند الفارابي، وأوجز فيما يلي أهم النتائج التي سعيت إلى التوصل إليها من خلال هذا البحث، والتي تتلخص فيما يلي:

◄◄ أولا: الفارابي تركي الأصل نشأ على ثقافة لغوية دينية، وأقبل على العلوم الإسلامية فنال قسطا من الدراسات العقلية المحيطة به من رياضة وفلسفة،

(٨٤) المرجع السابق، ص: ١١٥، ١١٦.
(٨٥) د. إبراهيم مدكور: مكانة الفارابي، ص: ٢٢٠.
(٨٦) قاسمجانوف: الفارابي، ترجمة: برهان الخطيب، دار التقدم – موسكو، ١٩٨٦م، ص: ٢٠٠.

ولم يزل مُكِبًّا على الاشتغال بالعلم والتحصيل إلى أنٍ برز فيه، وفاق أهل زمانه، وألف بها معظم كتبه التي تقارب مائة كتاب، ولقبَ بالمعلم الثاني لشرحه مؤلفات أرسطو، وتخرج ابن سينا على كتب الفارابي، وانتفع بها. ولم يكن الفارابي بالرجل الذي تغريه مظاهر الدنيا والجاه، بل إنه قضى حياته كلها في شظف من العيش، وكان يكسب قوتَه بعمل يده، وتوفي بدمشق في رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة هجرية، وقد ناهز ثمانين سنة.

- ثانيًا: السعادة مطلب كل إنسان وبغية كل كائن، والناس يتفقون في البحث عن السعادة، لكنهم يختلفون في معرفة طريقها، فمنهم من يرى السعادة جمع المال، ومنهم من يراها في الاستجابة لنداء الشهوات، ومنهم من يراها في جمال المنظر والمركب الجاه والمنصب. والسعادة هي ذلك الشعور المستمر بالغبطة والطمأنينة والأريحية والبهجة، وهذا الشعور السعيد يأتي نتيجة للإحساس الدائم بخيرية الذات وخيرية الحياة وخيرية المصير، فهي شعور داخلي بالأمن والطمأنينة والراحة والسكينة في الحياة وبعد الموت.
- ثالثًا: اختلف الفلاسفة والمفكرون في تحديد ماهية السعادة وعناصرها والطرق المؤدية إليها، وذهب أكثر فلاسفة الإسلام إلى القول بأن السعادة هي الغاية العليا للأخلاق، وهى أساس الخير الأسمى، مع اختلاف بينهم في التفاصيل. والتي يمكن تلخيصها في أربعة اتجاهات مختلفة، هي: الاتجاه الروحي، والاتجاه المادي، والاتجاه العقلي، والاتجاه الاسلامي.
- رابعًا: نظر بعض الفلاسفة إلى اللذة باعتبارها غاية عليا، وكانت نظرة الفارابي إلى اللذة نظرة متوازنة، فلم يجعلها غاية عليا يسعى إليها الإنسان، ولم يهملها، وقد أشار الفارابي إلى أثر اللذة في الإنسان؛ حيث تجعله ينحرف إلى الشهوات ويؤثرها على الخيرات والأفعال الفاضلة؛ فتكون بذلك صادة عن فعل الخير والجميل وعن السعادة الحقيقية، وعلى العاقل أن يتسامى عن تلك اللذات ولا ينال منها إلا بالقدر المباح الذي يحتاج إليه؛ ليصل إلى الكمال الحقيقي والسيرة الحسنة والأخلاق المحمودة، وكان الفارابي في تناوله للذة يعرض لعواقب الفعل وما ينجم عنه من لذة أو من ألم، ولذلك فهو يدعو إلى الابتعاد عن أية لذة عاجلة قد تؤدي إلى أذى آجل، كما يدعو إلى التحلي بالأعمال الخيرة الجليلة وتحمل ما ينتج عنها من ضرر عاجل ما دام يؤدي في الآجلة إلى لذة دائمة. وهذه دعوة طيبة تكفل دفع الإنسان نحو فعل الخير والجميل والابتعاد عن الشر والقبيح.
- خامسًا: الفارابي - وإن كانت نظرته إلى اللذة تتوافق مع بعض فلاسفة اليونان كجالينيوس وأفلاطون – فإنه لم يوحِّد بين السعادة واللذة، وكان مذهبه في ذلك مختلفا عن مذهب أرسطو وعن نظرته إلى اللذة، وكان يفصل بين السعادة واللذة، ويرى اللذة مجرد متعة لحظية قد يعقبها كثير من اللذة والألم، ولذا طالب بالتريث في تناول اللذات مع الموازنة بين نتائجها في العاقبة،

ومقارنتها بما ينتج عنها من أذى، بينما جعل السعادة هي الغاية القصوى والخير الأسمى، ولا يصل الإنسان إليها إلا بصفاء نفسه واكتسابه للكمالات وخروجه عن عالم الماديات.

- سابعًا: يشير الفارابي إلى أن السعادة هي الغاية العليا والخير الأقصى، وهي أساس الخير الأسمى، وهي غاية يطلبها كل إنسان؛ لأنها خير مفضل على غيره، بل هي أفضل الخيرات وأعظمها وأكملها. فهي الخير المطلوب لذاته والغاية التي تطلب من غير أن يكون وراءها غايةٍ أخرى، وكل ما يوصل إليها هو خير بالتبعية، وكل ما عاق عنها هو شر مطلقا، ذلك أنها كمال وخير مطلق.
- ثامنًا: للوصول إلى السعادة أسباب ووسائل تنال بها، فالعاقل يصل إلى السعادة عن طريق تحصيل المعقولات الأولى والأفعال الإرادية من الأفعال الجميلة والفضائل المحمودة، وكذلك يبتعد عما يعيقه عنها من الأفعال القبيحة والرذائل والشرور. ويقوم بتنمية خصال الخير الموجود في نفسه بالقوة لتصير ملكة راسخة تتجه دائمًا إلى عمل الخير. وتحصيل الفضائل الأربع التي بها تحصل السعادة للناس، وهي: الفضائل النظرية والفضائل الفكرية والفضائل الخلقية والصناعات العملية .
- تاسعًا: تأثر الفارابي - في معالجته لمسألة الخير الأقصى أو السعادة القصوى للإنسان - بما ورثه من الثقافات الإغريقية، كما نرى فيه أيضا نزعة الاختيار والتلفيق وروح النقد لما يعرض من آراء. فأخذ الفارابي في تناوله للسعادة وفي حديثه عن اللذة عن غيره، وخاصة أرسطو وأفلاطون وأفلوطين، لكنه مزج كل ذلك، وصبغه بصبغة إسلامية واضحة، ووضع فلسفته في الإطار الذي يتلاءم وظروف البيئة التي عاش فيها.

• قائمة المراجع والمصادر:

١- **أبو العباس تقي الدين أحمد بن تيمية:** بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تحقيق: د. موسى سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٨ه.

٢- **د. أحمد فؤاد الأهواني:** المدارس الفلسفية، مكتبة مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة- القاهرة، ١٩٦٥م.

٣- **أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي ابن أبي أصيبعة:** عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت.

٤- **أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان:** وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط ١٩٩٤م.

٥- **أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه:** تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية.

١٠- **د. أحمد مختار عمر:** معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

١١- **أرثور سديف:** ابن سينا، ترجمة: د. توفيق سلوم، دار الفارابي- بيروت، ١٩٨٧م.

١٢- **أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي:** الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.

١٣- **برتراندراسل:** العالم كما أراه، ترجمة: د. نظمى لوقا، كتاب الهلال، مايو ١٩٧٩م.

١٤- **د. توفيق الطويل:** فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها، دار النهضة العربية- القاهرة، ط٤، ١٩٧٩م.

١٥- ،،،،،،،،،،،: مذهب المنفعة في فلسفة الأخلاق، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة، ١٩٥٣.
١٦- **أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا:** كتاب الإشارات والتنبيهات، طبع مدينة ليدن، ١٨٩٢م.
١٧- ،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،: رسالة إلى الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير، تحقيق د. عبد الأمير شمس الدين، نشرت مع كتابه: الفكر التربوي عند ابن سينا، الشركة العالمية للكتاب- بيروت، ١٩٨٨م.
١٨- ،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،: رسالة في الكلام على النفس الناطقة، تحقيق د. عبد الأمير شمس الدين، نشرت مع كتابه: الفكر التربوي عند ابن سينا.
١٩- ،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،: في علم الأخلاق، ضمن تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات، تحقيق: د. حسن عاصي، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
٢٠- ،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،: عيون الحكمة، حققه وقدم له: د. عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات- الكويت، دار القلم– بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.
٢١- ،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،: النجاة، طبع محي الدين صبري الكردي، مطبعة السعادة- القاهرة، ط٢، ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م.
٢٢- **أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني:** الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: د. أبو اليزيد العجمي، دار الوفاء للطباعة والنشر- المنصورة، ط٢، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.
٢٣- ،،: المفـردات في غريـب القـرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ١٤١٢ ه
٢٤- **د. جعفر آل ياسين:** الفارابي الأعمال الفلسفية، دار المناهل – بيروت، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
٢٥- ،،،،،،،،،،،،،،،،: الفارابي في حدوده ورسومه، عالم الكتب- بيروت، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٢٦- **الخليل بن أحمد الفراهيدي:** كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
٢٧- د. زكريا إبراهيم: المشكلة الخلقية، مكتبة مصر- القاهرة، ط٣، ١٩٨٠م.
٢٨- سعيد زايد: الفارابي، دار المعارف- القاهرة، ط٤، ١٩٨٨م.
٢٩- صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
٣٠- **د. عبد المقصود عبد الغنى:** الأخلاق بين فلاسفة اليونان وحكماء الإسلام، مكتبة الزهراء– القاهرة، ١٩٩٣م.
٣١- ،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،: النظرية الخلقية في الإسلام دراسة مقارنة، دار الثقافة العربية– القاهرة، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.
٣٢- **جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي:** أخبار العلماء بأخيار الحكماء، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
٣٣- **د. فيصل بدير عون:** نظرية المعرفة عند ابن سينا، مكتبة سعيد رأفت – عين شمس، ١٩٧٧م.
٣٤- **قاسمجانوف:** الفارابي، ترجمة: برهان الخطيب، دار التقدم – موسكو، ١٩٨٦م.
٣٥- **مجمع اللغة العربية:** المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة.
٣٦- **شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن الذهبي:** سير أعلام النبلاء، تحقيق: بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م
٣٧- **أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي:** تلخيص السياسة لأفلاطون، نقله إلى العربية: د. حسن مجيد العبيدي، وفاطمة كاظم الذهبي، دار الطليعة – بيروت، ١٩٩٨م.
٣٨- ،،،: تلخيص الخطابة، تحقيق وشرح: د. محمد سليم سالم، لجنة إحياء التراث- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.
٣٩- **محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية:** إغاثة اللهفان، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الحديث- القاهرة، ١٩٩١م.

٤٠- ''' : رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، تحقيق: عبد الله بن محمد المضيفر، مكتبة الملك فهد الوطنية– الرياض.

٤١- ''' : عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، تحقيق: د. بدير محمد بدير، دار اليقين- المنصورة، ط٢، ص: ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٤٢- **د. محمد كمال جعفر:** في الدين المقارن، دار الكتب الجامعية – القاهرة، ١٩٧٠ م.

٤٣- **أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي الفارابي:** كتاب التنبيه على سبيل السعادة، تحقيق وتقديم وتعليق: د. جعفر آل ياسين، ضمن مجموعة: الفارابي الأعمال الفلسفية، دار المناهل – بيروت، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

٤٤- ''' : كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة، قدم له وحققه: ألبير نصري نادر، المطبعة الكاثوليكية- بيروت، ١٩٥٩م.

٤٥- ''' : كتاب السياسة المدنية، قدَّم له وشرحه: د. علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال- بيروت، ١٩٩٦م.

٤٦- '' : فصول منتزعة، د. دن، د.ت.

٤٧- '' : تحصيل السعادة، تقديم: علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، لبنان، ١٩٩٥م.

٤٨- **أبو حامد محمد بن محمد الغزالي:** إحياء علوم الدين، دار المعرفة – بيروت.

٤٩- '''''''''''''''''''''''''''' : ميزان العمل، مكتبة صبيح – القاهرة ١٩٦٣م.

٥٠- **محمد بن منظور الإفريقي :** لسان العرب، دار صادر – بيروت. لطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

٥١- **د. محمد يوسف موسى:** فلسفة الأخلاق في الإسلام وصلتها بالفلسفة الإغريقية، مكتبة الخانجي– القاهرة، ط٣، ١٩٩٤م.

٥٢- **د. مقداد يالجن:** التربية الأخلاقية الإسلامية، رسالة دكتوراه، دار عالم الكتب – الرياض، ط٣، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٥٣- '''''''''''''''' : طريق السعادة، دار الصحوة – القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.

****